جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

تأملات إرشادية في أهم أساليب الدعوة الإسلامية

إعداد الدكتور

علاء سيد محمد مهران
مدرس بقسم الدعوة - كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الثالث والثلاثون، لعام ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٤/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، جل في علاه، وتقدس في سماه، وتنزه عن الأشباه، يوالي من والاه، ويفتح باب التوبة لمن عصاه، سبحانك اللهم.

إياك نعبد لا خوفاً ولا طمعاً ... ولكن قلبي ارتوى من قولك ادعوني
يا خالق الكون في عز وتمكين ... وكل شيء جرى بالكاف والنون
الكاف والنون سر من أسرار حكمتك ... فامنن علينا بسر الكاف والنون

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله (ﷺ) الذي ما تألق نجم في سماه وما غرَّد طائر في ضحاه، وما تنفست نفس مخلوق ذرة من شذاه.

صلوات عُظمَى من ربي ... وسلامٌ لرسول الله
لا خلق أبداً يقدرها ... تعظيماً لرسول الله[1]

عطِّر اللهم روضه الشريف بطيب ذكي من صلاة وتسليم عليه بدءاً وختاماً

[صلاة الله بدءاً وختاماً ... على بدر الدجى ساكن تهاما
ويد المصطفى كالورد نادي ... عطرها يبقى إذا مست أيادي
عمّ نوالها كل العباد ... وكل الخلق من أنواره طابا
وريق المصطفى يشفى العليلا ... عين قتادة خذها دليلا
وبئر الملح أضحى سلسبيلا ... وصار لصحبه عذباً مذابا
وعرق المصطفى للطيب طيبا ... يثرب حُولت من نوره طيبا
يجذب عند رؤيته الحبيبا ... ولو جُنَّ المشاهد لا ملامة
صلاة الله بدءاً وختاماً ... على بدر الدجى ساكن تهامه[2]

---

(١) شعر من تأليف سيدي عبد الله صلاح الدين القوصي، انظر مؤلفه: محمد نبي الرحمة: (ﷺ)، سلسلة الإسلام شريعة وطريقة وحقيقة، موزع مجاناً مع الأهرام العربي ص٢٦٥، الطبعة السادسة، غرة رمضان ١٤٣١هـ/ أغسطس ٢٠١٠م.

(٢) قصيدة للشيخ أمين الدشناري، حفلة سيدي محمد نصير بزرقان ٢٠١١/٣/٢٦م.

وأتبع بالصلاة والسلام على آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن الدعوة إلى الله (ﷻ) من أعظم وأجلّ الأعمال وأشرف القربات إلى الله (ﷻ) ولقد مجدها الله (ﷻ) في قرآنه الكريم وأثنى على أصحابها وعلى ما تحمله من غايات وأهداف، ولا يقتصر العمل الدعوى على التبليغ بين الناس وحسب، وإنما يشابهه أيضاً التأليف والكتابة لأجلها. فمنَّ الله (ﷻ) علىَّ بما سيقرأه كل من يتصفح هذا المبحث، والذي عنونت له باسم.. "تأملات إرشادية في أهم أساليب الدعوة الإسلامية"، وأرجو من الله (ﷻ) أن يجعل التوفيق من نصيبي وأن يجد القارئ ما تضمنه المكتوب متناسقاً مع العنوان.

ولا أدعى أنني أتيت بجديد وإنما كان لي أسلوب خاص فى تدبيج العبارات والربط بين الأفكار والنصوص والتنقل من جزئية لتاليتها. وعشت مع الكتابة متأملاً كي أسترشد أولاً لنفسي، ولعل القارئ يجد ما يفيده من آية قرآنية أو حديث له ألفاظ يقرأها لأول مرة أو بيت شعر أو قصة أو تعريف للفظ غريب، وبذلت كل جهدي فى عزو النصوص إلى أصحابها ومؤلفيها وإن كان ثمت بعض أبيات شعر أحفظها من الذاكرة لم أستطع الحصول على ديوان صاحبها فأغضيت الطرف عن ذلك وأذكر القارئ الكريم أنني لم أترجم للبلدان أو الأشخاص للصحابة أو العلماء أو المشاهير.

وختاماً الشكر لله أولاً وآخراً ثم الشكر لوالدي: رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.. واغفر اللهم لأبي وارحمه رحمة واسعة وبارك لي في أمي التي ما زالت أكرم من أجلها، وعظيم تقديري وشكري للأستاذ الدكتور مرسي شعبان السويدي الذي تعلمت منه بصدق كيفية كتابة الأبحاث والمؤلفات والتدخل بين النصوص ووضع الخطط اللازمة لمحاور البحث.

وأرفع يد الضراعة و الدعاء إلى الله (ﷻ) أن يرشدنا ويحسن ختامنا.. آمين.

تمهيد

تعوّد الكُتَّاب، ودأب المؤلفون، وصار متبعاً لدى المصنفين عندما يبدأون كتاباتهم، ويشرعون فى تسطير مؤلفاتهم، ويدبجون بأقلامهم التصانيف الخاصة بهم أن يوضحوا ويبينوا، ويضعوا التعريف والمفهوم اللفظي واللغوي لمدلول العنوان للكتاب أو البحث أو أياً ما كان المؤلف. وجرياً على هذا العُرف أضع بين يدي القارئ التعريف اللفظي لمفردات وكلمات العنوان كل على حدة ثم جمعها فى إطار واحد ومضمون عام.

ولعل بذلك المقصود من عنوان البحث (تأملات إرشادية فى أهم أساليب الدعوة الإسلامية).

فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: تأملات:

تأملات: جمع تأمُّل والهمزة فيه أصلية بدليل وجودها في التصاريف المختلفة للفظ، فمن حيث ورودها في الفعل المضارع يقال: يتأمل المسلم في خلق السموات والأرض، وفي الفعل الماضي تأمل العالم في ملكوت السموات والأرض، وفي فعل الأمر: قال المدرس لتلميذه تأمَّل جيداً فى إجابتك للسؤال، واسم الفاعل منه متأمِّل، والمفعول: متأمَّل منه أو فيه... وهكذا، وهذا اللفظ يشابهه في الجمع والتصريف كثير من الألفاظ العربية مثل: توقّعات، وتوجهات، وتوجعات، وتألمات، وتحزبات، وتصورات، وتطلعات، وتعصبات، وتكتلات، وتنبؤات... إلخ

وهذه بعض الشواهد لورود هذه الألفاظ في الكتب والأبحاث والمصنفات. يقول صاحب كتاب (أزمة إنسانية والبديل الحضاري) تحت عنوان: حضارة في الاحتضار: "إن هذه الحضارة التي تبسط سلطانها اليوم على المعمورة هي حضارة

الوهم والسراب، وعما قريب سوف تزف إلى قبرها... ولذلك فإننا على يقين من أن تنبؤات إقبال (~) واقعة لا محالة"(١).

وعن لفظ توجهَّات يقول أ.د/ محمد يحيي أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة في مقاله حقوق الإنسان والخدعة الجديدة: "فالجماعات والجمعيات والفئات الكثيرة التي نشأت على مدى العقد الماضي مروجة لما يسمى بمسألة حقوق الإنسان أضحت نفسها مسألة منفصلة من ناحية توجُّهات أفرادها، ومصارد تمويلها"(٢)

وعن لفظ تصوُّرات يحدثنا السيد/ عطية فتحي الوشي عن تصادم الحضارات وعلمانية العالم "إن ظاهرة اقتلاع العلمانية من العالم تنم في حقيقتها عن عمق في التصورات الدينية"(٣).

ويؤكد هذا المفهوم د/ السيد أحمد هندية قائلاً: "حضارة الرجل الأبيض قد استنفدت أغراضها المحدودة القريبة ولم يعد لديها ما تعطيه للبشرية من تصوُّرات ومفاهيم ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية"(٤).

ويرجع بنا الحديث الآن لكشف المفهوم اللغوي للكلمة الأولى في العنوان:

تأملات: والتي اتضح وجود ألفاظ فى اللغة العربية تضاهيها، لذا يلزم أن نستعين بأهل الذكر وأصحاب الاختصاص في هذا المجال من قبيل قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (النحل: ٤٣)

---

(١) كتاب: أزمة الإنسانية والبديل الحضاري، دكتور/ السيد أحمد هندية، ص٢٥ بتصرف، مطبعة دار الوثائق بدون تاريخ.

(٢) مجلة البيان عدد ١٦٥، جمادى الأولى، ١٤٢٢ هـ، أغسطس ٢٠٠١م، ص٦٢، ص٩٢، ص١٠٠.

(٣) المرجع السابق: ص١١٧.

(٤) أزمة الإنسانية والبديل الحضاري: ص٢٦ مرجع سابق.

يجيب صاحب لسان العرب قائلاً: "التأمل: التثبت، وتأملت الشيء أي نظرت إليه مستثبتاً له، وتأمل الرجل تثبت فى الأمر ونظر"(١).

ويقول مؤلف معجم مقاييس اللغة مستشهداً ببعض أبيات من الشعر العربي: "أمَّل الهمزة والميم واللام أصلان الأول التثبت والانتظار.. قال الخليل: الأمل الرجاء، فتقول: أملته أؤمله تأميلاً، وأملته أملاً وإملة على بناء جِلْسة وهذا فيه بعض الانتظار، وقال أيضاً: التأمل التثبت في النظر، تأمل:

تأمل خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم

وقال المراد:

تأمَّلْ ما تقول وكنت قدماً قطامياً تأمَّله قليل

القطامي: الصقر وهو مكتف بنظرة واحدة"(٢).

ويزيد الأمر تبياناً العالم العلامة أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي في مؤلفه: كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: "أمل (أملته) أملاً من باب طلب: ترقبته.. وأملته تأميلاً: مبالغة وتكثيراً... وتأملت الشيء: إذا تدبرته وهو إعادتك النظر فيه مرة بعد أخرى حتى تعرفه"(٣).

وعلى هذا النحو جاء الأمر القرآني في صيغة الاستفهام بالتدبر أو التذكر ولم يرد بلفظ التأمل الذي يدل على محتواه، قال تعالى: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (محمد: ٢٤)

---

(١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور المصري: ٢٨/١١، بتصرف، الطبعة الأولى دار صادر بيروت.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ١٤/١، دار الجيل بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩ الطبعة الثانية.

(٣) المصباح المنير، تأليف العلامة أحمد بن على المقري الفيومي: ص٣٠، ٣١، بتصرف، الطبعة الثانية، المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٩م.

وجاء فى المؤلفات الحديثة التي تهتم بتوضيح مفهوم الكلمات العربية على سبيل المثال (أملـه): أمـلاً: رجـاه وترقبـه. (أمَّلـه): أمَلَـه (تأمّـل): تلبـث فـي الأمروالنظر و– الشيء، وفيه: تدبره وأعاد النظر فيه"(١).

يلاحظ مما سبق ذكره، وعرضه والخلاصة المستفادة لمفهوم التأمل والذي يجمع على تأملات هو التدبر والنظر فى الشيء لمعرفته والتأكد منه مرة بعد مرة كي يزداد توثيقاً ووضوحاً وبياناً.

ويبدو لي أن التأمل معناه استخدام حواس الإنسان مع العقل لمعرفة ومحاولة إدراك شيء ما، وعلى ذلك يكون التأمل مع النظر والشواهد عليه من القرآن الكريم كثيرة ومن الأمثلة المطالبة للإنسان النظر إلى السماء والأشجار والثمار والجبال والمخلوقات والنظر في الإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ. وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**﴾ (ق: ٦–٨)

و طولب الإنسان أن ينظر إلى طعامه الذي يأكله وكيف وصل إليه وقد أجابت آيات القرآن عن ذلك قال تعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾ (عبس: ٢٤–٣٢)، والله (ﷻ) أمر الإنسان على وجه أخص أن يتأمل بالنظر في نفسه ليعرف من أي شيء خُلق؟ وكيفية نشأته؟ وإلى أين مصيره؟ ولم يترك الله (ﷻ) الإنسان حائراً وإنما أعطاه الجواب، قال تعالى: ﴿**فلينظر الإنسان ممَّ خُلِق. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ**

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم: ص٢٥ طبعة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (الطارق: ٥-٨) وآيات كثيرة مشابهة لذلك التأمل.

وللمفاضلة بين الأطعمة المختلفة حتى ولو كانت من جنس واحد باستخدام حاسة الذوق مع التأمل في الفرق بين الحلو وغيره يقول تعالى ﴿**وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** (الرعد: ٤).

وقد نوَّه القرآن في آيات عديدة إلى أن حاسة الذوق بالتأمل في محتواها وما يترتب عليها لا تتوقف على المعنى الحسي فقط ولكن الذوق إما حسياً وإما معنوياً أو جسدياً أو نفسياً وهذه بعض الأمثلة التي تدل على ذلك:

قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** (النحل: ١١٢).

ولا شك أن الجوع أمر حسي، جسدي، بينما الخوف شيء معنوي، ونفسي، وجدير بالذكر أن الذوق الحسي أو المادي ملحوظ ومعروف وأكثر من المعنوي.

على ضوء ذلك ورد الحديث عنه فى آيات القرآن الكريم فى أكثر من موضع ويظهر ذلك جلياً فى عذاب الله للكفار ومن على شاكلتهم على وجه أخص، وفي النعيم الذي يُجْزَى به المؤمنون من باب أولى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾** (النساء: ٥٦، ٥٧).

وإذا كانت آيات سورة النساء بينت وقوع العذاب بتبديل الجلود بعدما تصلى بالنار وتنضج، وأشارت إلى نعيم الأزواج المطهرة والظل الظليل وكلاهما تشعر به الحواس وأمر جسدي، فإن آيات سورة التوبة التالية ذكرت بعض الأعضاء الخاصة في جسم الإنسان تتألم من العذاب.

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ (التوبة: ٣٤، ٣٥)..

وربما يظن ظانٌّ أن الذوق الحسي والمعنوي يشعر به الإنسان مفرداً وعلى حدة والأمر على خلاف ذلك فإن الذوق كما جاء في آيات الذكر الحكيم يكون للأمم والشعوب وعن هذا الأمر قصة أهل سبأ وما حدث من تغيير أحوالهم بعد إعراضهم عن أمر الله وشكره، وعبادته، وأيضاً عندما دعا رسول الله محمد (ﷺ) أهل مكة وقريش للإيمان والهدى ظنوا، وخافوا أن تخطفهم الأمم والشعوب، وتغير عليهم القبائل وتسترقهم، وتذلهم بعد عز، ويتبدل حالهم من إجلال وتعظيم إلى استهزاء وتحقير.

فجاء الجواب القرآني مبيناً مدى النعمة الخاصة بأهل الحرم، وهم جميعاً لا ينكرونها ويعرفون أنها ليس نعمة حسية وكفى بل فى مضمونها وأهم منها النعمة المعنوية، وهم تذوقوا ذاك النعيم منذ أمد بعيد على خلاف غيرهم من القبائل.

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (القصص: ٥٧).

وآيات عديدة تذكر لهم هذا الفضل وسورة قريش بأكملها توضح ذلك، ويعود الحديث بنا بعد هذا العرض المطنب حول دلالة معنى الذوق والتأمل فيه إلى ذكر ارتباط التأمل مع حاسة السمع والعقل، ولعل أهم الشواهد عليه ما يقصه القرآن عن القسيسين والرهبان الذين سمعوا بعض آياته فتأملوا فيها وعلموا أنها حق من عند الله ووصل الأمر بهم إلى فيضان الدمع من أعينهم.

قال تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ (المائدة: ٨٢-٨٣).

وليس هناك أدل من بيان أهمية التأمل مع الجوارح مما ذكره القرآن منادياً أهل الإيمان عندما يأتيهم فاسق بنبأ أن يتريثوا، ويتأملوا في تصديق هذا النبأ وعدم التصديق به لأول وهلة حتى يصلوا إلى بيان الحقيقة كي لا يصيبوا أحداً بجهالة فيقع الندم لأنهم لم يتأملوا ويتبينوا، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (الحجرات: ٦).

ورغم عدم استعمال لفظ التأمل في القرآن واستخدام البديل له أو أثره التدبر والتفكر والتعقل، والمعرفة والتبين فهذا لا يعنى أن المؤلفين والكتاب استغنوا عنها ولم يستخدموها في مصنفاتهم. بل على العكس من ذلك تماماً فقد جاء استعمال لفظ التأمل وجمعه التأملات في كثير من الكتب لدرجة أن تجد أحد الكتاب يستخدمها في مؤلفه بما لا يقل عن خمس عشرة مرة. وبالمثال يتضح المقال.

يذكر مؤلف كتاب (كشف الغمة عن خصائص الأمة) مبيناً أهمية النظر والتأمل بوعي في القرآن الكريم وما يترتب عليه، وكذا أثره الممتد الفياض: "إن النظر المتأمل في آيات القرآن الكريم يعطى الناظر آماداً بعيدة من الفهم والوعي بهذا الكون الشاسع بسكانه، وعمرانه، كما يعطى الناظر أيضاً سعة فى الأفق والتناول، ويجعله غير محدود بزمان معين أو مكان معين أو إنسان معين، وإنما الأمر كله كامن فى وعي القرآن بالإنسان والإنسانية"(١).

والأمر لم يقتصر على إدراج لفظ التأملات أو ما في معناها بين ثنايا الكلمات والسطور والعبارات، وإنما هناك من العلماء من صاغ هذا اللفظ (تأملات) عنواناً لكتابه ومؤلفه، كما ذكر الأستاذ أو الشيخ محمد محمد بن عبد الله الدويش في مؤلفه الدعوى: تأملات في العمل الإسلامي، وأكد على ذلك فى المقدمة حيث قال: "فالصحوة الإسلامية بحاجة إلى دراسات عميقة وجادة، تتناول قضاياها الدعوية، والتربوية... لكن تبقى خواطر وأفكار وتأملات ومراجعات لا تعدو أن تكون آراءاً وانطباعات شخصية...وهذه مجموعة من التأملات والخواطر سبق نشرها فى مجلة البيان الشهرية"(٢).

وعند الحديث عن القرآن الكريم والجمال يذكر مؤلف كتاب (قيم إسلامية) اسم الفاعل لهذا اللفظ متأملاً فيقول: "لن يستغرق القارئ المتأمل للقرآن الكريم وقتاً طويلاً حتى يدرك بوضوح مدى تقديره لقيمة الجمال " (٣).

---

(١) كشف الغمة عن خصائص الأمة، أ.د/ عبد الباسط عطايا، ص٥ مكتبة علاء الدين، ٢٠٠٩م.

(٢) تأملات فى العمل الإسلامي، تأليف محمد بن عبد الله الدويش: ص٥، بتصرف، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، كتاب المنتدى.

(٣) قيم إسلامية، د/ السيد أحمد هندية، ص٩٠، بدون دار طباعة أو سنة نشر وتاريخ.

الخلاصة مما سبق حول مدلول لفظ التأمل على ما يبدو لي أن المراد به:

إمعان واستخدام حواس الإنسان خاصة السمع والبصر والذوق مع العقل في معرفة ومحاولة إدراك شيء ما والتثبت منه، والتأكد من مضمونه، وأثره بتدبر.

ثانياً: أرشادية:

تتكون كلمة إرشادية التي نحن بصدد التعريف لها من ثلاثة أجزاء الجزء الأول: إرشاد، وهو مصدر للفعل الرباعي أرشد، مثل أحسن، مصدره إحسان، قال تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ (الرحمن: ٦٠)

وعند حديث القرآن عن البر بالوالدين قال (ﷻ): ﴿**وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا**﴾ **(الأحقاف: ١٥)، ويجوز أن يأتي المصدر على قياس: حَسَناً والدليل عليه قوله تعالى:** ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**﴾ (فاطر: ٨)، وبناء على ذلك يأتي المصدر أيضاً من أرشد على قياس رشداً ولذا يدعو فتية أهل الكهف ربهم قائلين: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ (الكهف: ١٠)، وآخر ما جاء به حديث القرآن عن هذا المصدر تعليم الله (ﷻ) نبيه محمد (ﷺ) ماذا يقول للناس ﴿**قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا**﴾ (الجن: ٢١).

ما ذكر سابقاً هو الحديث عن المصدر للفعل الرباعي أرشد، وأحسن. أما إذا كان الفعل ثلاثياً: رشُد، وحَسُن، فإن المصدر من رشد الرُشد، وهو المذكور كثيراً في آيات الذكر الحكيم والمصدر من حَسُن: الحُسْن، ويتضح ذلك من قول الله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا**﴾ (العنكبوت: ٨) والدلالة على الثلاثي رشد مصدره الرشد قوله تعالى: ﴿**قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ولا يتوقف أمر الاشتقاق اللفظي عند هذا الحد بل يأتي من هذا اللفظ أرشد تصريفات شتى بالرغم من أن المصدر الإرشاد لم يأتي مرة واحدة في القرآن الكريم، وقد بلغ عدد اشتقاقات اللفظ ومدلولاتها (١٩) مرة منها الفعل المضارع (يرشدون)، والاسم (الإرشاد)، واسم الفاعل (مرشداً) وصفة فعيل بمعنى فاعل (الرشيد) في آيات عديدة وجدير بالذكر أن من أسماء الله (ﷻ) الحسنى (الرشيد)، وقد ذكر هذه الاشتقاقات اللفظية الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في مؤلفه القيم المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم(١).

الأمر الذي يجعلنا نسأل أهل الاختصاص في اللغة لمعرفة معانيها وما هو تفسيرها وقبل سوق آراء العلماء أُعرِّج بالذكر ببيان أن الجزء الثاني من كلمة إرشادية هو ياء النسب. والجزء الثالث تاء التأنيث كي يطابق، ويوافق المنسوب هو تأملات للمنسوب إليه الإرشاد وكذا المضاف للمضاف إليه إذا ما وضع في الناحية الإعرابية أن كلمة تأملات مضاف وكلمة إرشادية مضاف إليها، أما ما يقتضيه الذكر وهو تعريف لفظ إرشاد فهو ما يأتي على النحو التالي:

الإمام ابن كثير (رضي الله عنه) عند تفسيره لسورة الجن يبين فى حديثه عمن سمعوا القرآن من الجن فتعجبوا وأسلموا واعترفوا أن هذا الكلام يهدي إلى السداد والنجاح فى أول السورة وهذا هو المتبادر لديه عن معنى الرشد بالضم أثناء قوله تعالى: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يهدي إلى الرشد..**﴾ (الجن: ١، ٢)

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي: ص٣٩٣، ٣٩٤، دار الحديث، القاهرة، طبعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

يقول ابن كثير: "أي إلى السداد والنجاح" [١]

وعندما يذكر تعريف الرشد بالفتح فى آخر ما جاء من اشتقاقات اللفظ فى آي القرآن فى نفس السورة أيضاً كما جاء على لسان النبي (ﷺ) مما علمه الله (ﷻ) أن يخاطب به الناس يذكر أن المراد بالرشد بالفتح الهداية والمقصود بالضر الغواية في تفسير قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا**﴾ (الجن: ٢١)

يقول ابن كثير: "أي: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ، وعبد من عباد الله ليس إليّ من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم"[٢].

ما سبق عرضه رأي مفسر من قدامى المفسرين يعرف المقصود بالرُّشد بالضم، أو الرَّشَد بالفتح.

فهل يختلف معه فى التعريف المفسرون المعاصرون أم يتفقوا أم لهم وجهة نظر متقاربة إن لم تكن بنفس اللفظ؟

تتضح الإجابة على هذا التساؤل عند الاستعانة بتفسير الظلال للشيخ سيد قطب إذ يذكر عند تفسيره لاشتقاق لفظ الرشد من الفعل المضارع (يرشدون)، ويؤكد أن المقصود بالرشد فى الاية القرآنية التي يقول فيها المولى (ﷻ) ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (البقرة: ٢٨٦). أنه الثمرة الأخيرة من الإيمان الرشد والهداية والصلاح وفي هذا يقول: "إنها آية عجيبة.. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة، والود المؤنس، والرضى المطمئن، والثقة واليقين.. ويعيش منها المؤمن في جناب رضيّ، وقربى ندية، وملاذ أمين وقرار مكين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ٤/٤١٤، دار المنار الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ٢٠٠٢م.

(٢) المرجع السابق ص٤١٨.

وفي ظل هذا الأنس الحبيب، وهذا القرب الودود، وهذه الاستجابة الوحية.. يوجه الله عباده إلى الاستجابة له، والإيمان به، لعل هذا أن يقودهم إلى الرشد والهداية والصلاح. ﴿**فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾.. فالثمرة الأخيرة من الاستجابة والإيمان هي لهم كذلك.. وهي الرشد والهدى والصلاح. فالله غني عن العالمين.

والرشد الذي ينشئه الإيمان وتنشئه الاستجابة لله هو الرشد. فالمنهج الإلهي الذي اختاره الله للبشر هو المنهج الوحيد الراشد القاصد؛ وما عداه جاهلية وسفه لا يرضاه راشد، ولا ينتهي إلى رشاد"(١).

أما إذا ولينا الوجهة صوب علماء اللغة بعدما يمناها نحو أهل التفسير لتعريف الإرشاد وما يشتق منه ودلالته اللغوية سنجد تقارباً شبه مؤكد، وتعريفات خلاصتها أمر واحد وهو الصواب والهداية والنجاح... إلخ يقول العالم العلامة أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي فى معجمه: "الرشد: الصلاح وهو خلاف الغيّ والضلال وهو إصابة الصواب، ورشد رشَداً من باب تعب، ورشد يرشد، من باب قتل فهو راشد، والاسم الرشاد، ويتعدى بالهمزة ورشده القاضي ترشيداً جعله رشيداً، واسترشدته فأرشدني إلى الشيء، وعليه وله قاله أبو زيد وهو لرشدة أي صحيح النسب بكسر الراء والفتح لغة"(٢)

إذا كان هذا المعجم القديم قد وضع صاحبه خلاصة ميسرة لمعنى اللفظ واشتقاقه فإن المعجم الوجيز وهو أحد المعاجم الحديثة فى بيان الكلمات قد تناول تعريف اللفظ من جهات عدة، فقد ورد فيه:

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب: ص١٧٣، المجلد الأول، دار الشروق، الطبعة ٣٧، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(٢) كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ص٣١٠، مرجع سابق.

"(**رَشَدَ**) **رُشْداً**: اهْتَدَى. فهو راشد. (رَشِدَ) رَشَداً، ورَشَاداً: رَشَدَ. فهو رشيدٌ. ويقال: رَشِدَ أَمْرَهُ: رَشِدَ فيه ووُفِّق له. (أَرْشَدَهُ): هدَاه ودَلَّهُ. يقال: أَرْشَدَهُ الله، وأَرْشَدَهُ إلى الأَمر، وله، وعليه. (رَشَّدَهُ): أَرْشَدَهُ وهداه والقاضي الصبي: قضى برشده (استرشد) فلاناً طلب منه أن يُرشده (الترشيد) ترشيد الإنفاق، حسن القيام على المال وتوجيهه في خير سبيل (الراشد) المستقيم على طريق لا يحيد عنه، ومنه: الخلفاء الراشدون. و(الرشاد) عند الفقهاء أن يبلغ الصبي حد التكليف صالحاً في دينه مصلحاً لماله – وفي (القانون) السن التي إذا بلغها المرء استقل بتصرفاه. (الرشيد) من أسماء الله الحسنى، وحسن التقدير، ومن بلغ سن الرشد وهي رشيدة. (المرشد): الواعظ، وهادي السفن في المضايق، ودليل الشرطة"[1].

وبعد تلك الجولة مع تعريف كلمة (تأملات) و(إرشادية) المنسوبة لها أوضح بقية مفردات العنوان.

ثالثاً: (في):

في: هي الكلمة الثالثة بالعنوان والتي جاءت بعد لفظ (إرشادية)، وهذا اللفظ المكون من حرفين: الفاء والياء، ما هو إلا أحد حروف الجر التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالأسماء، إذ أنها لو جاءت مجردة دون الاشتراك مع اسم لا تفيد معنى كائناً مستقلاً بذاته، وعلى ضوء ذلك هي تفيد معنى محدداً مع غيرها. فلو قال قائل مثلاً تفكرت في...، ولم يكمل واكتفى بلفظ في دون اسم ما، لا يفيد الكلام شيئاً. أما إذا قال: تفكرت في الخلق، أفاد معنى معيناً.

(١) المعجم الوجيز ص٢٦٥، بتصرف مرجع سابق.

وحروف الجر هذه ذكرها الإمام الحجة الثبت أبو عبد الله محمد جمال الدين ابن مالك في ألفيته قائلاً ومن ضمنها (في) وعدها عشرون حرفاً كما جاء في شرح ابن عقيل:

هاك حروف الجرّ وهي من إلى حتّى خلا حاشا عدا في عن على

مذ منذ ربّ اللاّم كي واو وتا والكاف والبا ولعلّ ومتى

(ش) أي الشرح: هذه الحروف كلها مختصة بالأسماء وهي تعمل فيها الجر[1].

ويواصل ابن مالك في منظومته الشعرية اختصاص وعمل الحروف ومنها (في) فيقول:

واللاّم للملك وشبهه وفي تعدية أيضا وتعليل قفي

وزيد والظرفيّة استبن بـا وفي وقد يبيّتان السّببا

(ش).. واشار بقوله: (والظرفية استبن) ... إلخ: إلى معنى الباء وفي، فذكر أنهما اشتركتا في إفادة الظرفية والسببية، فمثال الباء للظرفية قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ. وبالليل**﴾ (الصافات: ١٣٧): أي وفي الليل، ومثالها للسببية قوله تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا**﴾ (النساء: ١٦٠)، ومثال (في) للظرفية قولك: زيد في المسجد وهو الكثير فيها. ومثالها للسببية قوله (ﷺ) "دخلت امرأة النار في هرة فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض"[2].[1]

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، للصفوف الثانوية، طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية: ص١٥٥، طبعة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه بأكثر من لفظ منها " عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ

ويلاحظ مما سبق أن لفظ (في) يختص كثيراً بظرفي الزمان والمكان وقد يأتي ليفيد السببية، ولم يذكر ابن عقيل سوى مثالاً على مجيء لفظ (في) مع ظرف الزمان وذكر مثالاً لظرف المكان وهو: زيد في المسجد.

علماً بأن آيات القرآن الكريم قد جاء فيها أمثلة لورود لفظ (في) مع ظرف الزمان وهو الكلام الذي يدل على حدوث شيء أو حدث في زمن معين من الوقت كساعة ويوم وليلة وشهر. وظرف المكان يدل على حدوث شيء أو أمر أو حدث فى مكان معين كموطن أو بيت أو قرية أو كتاب... إلخ.

ومثال (في) مع ظرف الزمان قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ (القدر: ١).

ومثال (في) مع ظرف المكان قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**﴾ (التوبة: ٤٠).

وكلمة (في) التي جاءت بثنايا عنوان البحث (هنا قد يكون معناها للسببية، بمعنى أن التأملات الصائبة بسبب التعرف على الدعوة الإسلامية أو التأملات السديدة والناجحة والتي تعود للهداية بسبب ذلك أو تكون (في) هنا مع ظرف المكان بمعنى أن التأملات الإرشادية تكون في محتوى المكتوب والمسطر في الكتب والأبحاث والمقالات... إلخ من أساليب الدعوة، وهذا ما أميل إليه.

ولا أنسى التنويه إلى أن لفظ (في) قد يستعمل مجازاً لزيادة البلاغة بدلاً من حرف (على) وينوب عنه كما في قوله تعالى ﴿**وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾

خَشَاشِ الْأَرْضِ" صحيح مسلم، عني به وقدمه هندي صابر قاسم، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي. حديث رقم ٢٢٤٢، ص٧٠١ بدون تاريخ أو طبعة.

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ص١٥٨، مرجع سابق.

(طـه: ٧١) وذلك لشدة تأكيد الربط والوثاق كأن جذوع النخل حفرت للمؤمنين وأدخلهم فرعون في الجذوع والمراد على جذوع النخل.

رابعاً: أساليب:

الأسلوب في اللغة والاصطلاح:

الأسلوب لغة: هو الطريق والمذهب، يقال سلكت أسلوب فلان في كذا أي طريقته ومذهبه، والجمع أساليب أو سُبل. وهي الفنون المتنوعة، والطرق المختلفة، وطريقة الكاتب في كتابته(١).

ومن آيات القرآن الكريم ما يدل على ذلك، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ (يوسف: ١٠٨)، وقال (ﷻ): ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وقال (ﷻ): ﴿**وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ (غافر: ٢٩)، وقال أيضاً: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً**﴾ (طه: ٥٣)

الأسلوب اصطلاحاً: يمكن أن يعرف الأسلوب بعدة تعريفات منها:

١- كلمات مناسبة في مواضع مناسبة.

٢- الفن البياني الذي غايته قوة الأداء مع الصحة، وسمو التعبير مع الدقة، وإبداع الصورة وجمالها(٢).

٣- عرض ما يراد عرضه من معاني وأفكار، ومبادئ وأحكام في عبارات

---

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم جمهورية مصر العربية، ص٣١٦، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢) وحي القلم للرافعي، تأليف مصطفى صادق الرافعي، تحقيق أبو عبد الله / أيمن محمد محمد عرفة، ص٥ بتصرف، الجزء الأول، المكتبة التوفيقية.

وصيغ[١].

٤- اختيار الألفاظ وترتيبها في شكل له أثره، وطابعه في اللغة المستعملة[٢].

٥- هو الذي تكون فيه الملائمة بين العبارة والفكرة، أو بين اللغة والمعنى، وبين تفكير القارئ وقدراته، وهو الذي يكون واضحاً في المعنى والفكرة، والتركيب، وقوياً في اختيار التعبيرات، وحسن استعمال الكلمات الصحيحة، واستخدام الصفات التي تترك في نفس القارئ أثراً جمالياً، إلى جانب قوة دلالتها، ويكون جميلاً بأن يوجد المتعة الذهنية والوجدانية، ويظهر ذلك في حسن الذوق، تآلف الألفاظ، وتناسق الجمل، والانسجام بين اللفظ والصوت والنغم[٣].

وعلى ذلك فالأسلوب يتعلق بالجمل، والعبارات والكلمات التي يتم بها عرض المعاني المرادة.

يقول الأستاذ الدكتور/ مرسي شعبان السويدي معلقاً:

"يلاحظ أن هذه التعاريف تعتمد على توضيح الأسلوب من حيث الأدب، واللغة والنقد. أو الفن الكلامي، وما يحتويه من أساليب تستولى على الوجدان، والعقل والمشاعر التي تقشعر منها جلود الذين يخشون ربهم، ويندفعون إلى ساحة العمل في الدعوة، وصدق الله حيث وصف كلامه بقوله: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء...**﴾ (الزمر: ٢٣).

---

(١) الدعوة إلى الله تعالى، د/ أبو المجد نوفل، ص١٨٩، بدون.

(٢) الصناعتان لبي هلال العسكري: ص٦٩ بدون.

(٣) دراسات فى النقد الأدبي، د/ محمد كامل جمعه، ص٤٢ بتصرف.

والقرآن مأدبة الله، ولقد أخذت أساليبه البيانية بنفوس المؤمنين به، وغيرالمؤمنين وهم فحول القول[1] وأهل البلاغة، والفصاحة، والخبرة الفنية بين صحيح الكلام، وسقيمه، وصحة القول وعليله، وأصل اللغة وشاذها، ولإعجازه في تنوع أساليبه شهدوا بحلاوته وطلاوته رغم بقائهم على العناد والكفر والفساد. ومن ثم فالأسلوب هو عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار ومبادئ وأحكام، وعقائد وشعائر، ومعاملات، وآداب، في عبارات وصيغ ذات شروط بكافة الأساليب"[2].

خامساً: الدعوة الإسلامية:

بقية وتتمة عنوان البحث، (الدعوة الإسلامية) للتفرقة بينها وبين الدعوة إلى غير الإسلام.

فهذه الدعوة التي يراد الحديث عنها في ثنايا الموضوع: هي المتعلقة والمنسوبة إلى الدين الإسلامي.

ولعلماء الدعوة في بيان مفهومها تعاريف وآراء من حيث المفهوم الاصطلاحي وهو الذي أكتفى بذكره دون الإشارة إلى تعريف مادة الدعوة في اللغة. لأن معظمها يدور حول معنى الدعاء، والحث والطلب والمناداة والنصح، والصيحة والتذكير. كما أنها وردت في القرآن بصيغ وألفاظ متعددة في كافة التصاريف الفعل الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل، والمصدر، ووصل تعداد ذكرها في كلمات القرآن الكريم إلى مائتي واثنتي عشرة مرة (٢١٢) وهذا لعظيم قدر هذا المصطلح، ويكفى الدعوة شرفاً أن الله (ﷻ) أثنى على أصحابها،

---

(١) فحول الشعراء والعلم والقول: الفائقون فيه، المعجم الوجيز: ص٤٦٣.

(٢) معالم دعوة الحق في موكب الدعاة إلى الله تعالى كما يصورها الوحي الإلهي أ.د/ مرسي شعبان السويدي، ص٤٤٦: ٤٤٧ بتصرف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مطابع التوحيد الحديثة بشبين الكوم.

يقول تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ (فصلت: ٣٣-٣٥).

تتعدد الدعوة في الاصطلاح، وتتنوع لدى العلماء حسب اجتهاداتهم الشخصية، إذ إنه ليس هناك تعريف ثابت، أو محدد يوضح معنى الدعوة اصطلاحاً لتقاس عليه ماهيتها، ومضمونها، لذا كل تعريف اصطلاحي يعتبر وجهة نظر لصاحبه، وعلى ضوء ذلك فإن التعريفات كثيرة جداً وأهم ما جاء فيها ما يلي:

١- محتوى التعريف بإيجاز كما يقول الشيخ البهي الخولي: نقل أمة من محيط إلى محيط[١].

وهذا التعريف قاصر وغامض إذ لم يحدد الأمة المنقولة، والأمة المنقولة إليها، وأيضاً لم يحدد نوع المحيط الذي تنقل إليه تلك الأمة، وأهمل دور الفرد في التعريف، ورب قائل يقول بناء على هذا التعريف غير المحدد أنه: نقل أمة البوذية إلى محيط أمة النصرانية.. أو نقل الأمة الرأسمالية إلى الأمة الاشتراكية، أو نقل أمة من محيط الخير إلى الشر.

٢- عرفها آدم عبد الله الألوري بقوله: "صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم"[٢].

وهذا التعريف بين الهدف من الدعوة ولو زاد فيه عبارة: وأمر بمعروف ونهي عن منكر، لكان أوجه، لذا فإن قريباً من هذا التعريف ما ذكره الشيخ على محفوظ

---

(١) تذكرة الدعاة للشيخ البهي الخولي: ص٣٥، مكتبة دار القرآن، القاهرة، طبعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، لآدم عبد الله الألوري، ص١٧ بدون تاريخ.

في مؤلفه (هداية المسترشدين) عندما قال عن الدعوة: "حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(١).

ويلحظ من هذا التعريف أيضاً أنه يهتم ببيان مجال ممارسة الدعوة المتمثل في الحث على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل الناس.

٤- يقول الدكتور عبد الرؤوف شلبي عنها: مفهوم الدعوة عندما يطلق كاصطلاح يكون تصوره: الحركة الإسلامية في جانبها النظري والتطبيقي من حيث هي حركة بناء للدولة الإسلامية، ومن حيث هي دفاع عن استمرار وجودها وتلك رسالة جدّ شاقة تحتاج مع عون الله ووعده بالنصر إلى طراز خاص من الدعاة في المستوى الفكري والثقافي والسلوكي والأسري وأقطار الحياة جميعاً، نوعية أصحابه من ﴿**الَّذِينَ ءآمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام: ٨٢)"(٢)

وهذا التعريف اهتم بالداعية وصفاته، وأهمية الدعوة وفضلها، ويشابهه في هذا المحتوى تعريف الشيخ الصواف الذي يقول عن الدعوة: "هي رسالة السماء إلى الأرض، وهداية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريقة الموصلة إليه (ﷻ): ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**﴾ (آل عمران: ١٩)، ثم اختارها لعباده وفرضها عليهم ولم يرض بغيرها بديلاً عنها

(١) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، للشيخ على محفوظ، ص١٧، دار الاعتصام، الطبعة الخامسة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٣م.

(٢) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، د/ رؤوف شلبي: ص٣٦، مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٤هـ.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥) (١).

٥- الأستاذ صالح بن عبد الله بن حميد يؤيد التعريف السابق ويزيد عليه الاهتمام بالمدعو والهدف من الدعوة فيقول: "قيام المسلم ذي الأهلية في العلم والدين بتبصير الناس بأمور دينهم، وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع على قدر الطاقة ليفوزوا بسعادة الدارين"(٢).

ولا يقتصر تعريف الدكتور عبد الخالق إبراهيم للدعوة على مجرد التبليغ، وإنما يذهب إلى أبعد ذلك حيث يربط بين تبليغ الإسلام والعمل به فيذكر أنها تعنى: "تبليغ الإسلام عن طريق قيام الدعاة بدعوة الناس إلى ما فيه عقيدة التوحيد الخالص والإيمان النقي بكل ما جاء من عند الله في كتابه الكريم، وفي سنة رسول الله (ﷺ)، والعمل به في جميع شئون الحياة دينية كانت أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو غير ذلك"(٣).

وهذا التعريف وإن كان يهتم بموضوع ومادة ومحتوى الدعوة غير أنه يمكن اختصاره وحذف بعض الكلمات ليكون كما يبدو لي على النحو الآتي:

تبليغ الإسلام عن طريق قيام الدعاة بدعوة الناس إلى كل ما جاء من عند الله في كتابه الكريم، وفي سنة رسول الله (ﷺ) والعمل به في جميع شئون الحياة.

---

(١) من القرآن إلى القرآن للشيخ محمد محمود الصواف، ص٢، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٢) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد: ص١١، طبعة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار الأندلس السعودية.

(٣) الدعوة إلى سبيل الله أصولها وميادينها، د/ عبد الخالق إبراهيم إسماعيل: ص٨ طبعة ١٤٢٠هـ

ولعل ذلك ما قصده الشيخ الغزالي عند تعريفه للدعوة إذ يقول: "هي برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم"(١).

وكان الأولى بفضيلة الشيخ الغزالي أن يضع في تعريفه كلمة (منهج) بدلاً من كلمة (برنامج) لأن كلمة منهج أعم وأشمل وأقيم من كلمة (برنامج) وكذلك لورود لفظها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ (المائدة: ٤٨).

٧- ويحدد الدكتور أحمد غلوش معناها بأنها: علم يهدف إلى تبليغ الدين بكافة المحاولات والطرق سواء تضمن التبليغ أمور العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق فيقول « العلم الذي تعرف به كافة المجالات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة، وشريعة، واخلاق»(٢).

وهذا التعريف دقيق جداً وواضح وجمع في ألفاظه أهم أركان الدعوة – فالعلم إشارة إلى الداعية الذي يقوم بتلك المهمة، وكافة المجالات إشارة إلى أساليب ووسائل الدعوة، وكلمة الناس إشارة إلى المدعو، وكلمة الإسلام ومضمونه إشارة إلى مادة ومحتوى الدعوة وموضوعها.

ومما سبق وعلى غرار أقوال العلماء وأهل الذكر فإن تعريف الدعوة من وجهة نظري يمكن صياغته على النحو التالي وجمعه في الألفاظ الآتية:

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالي: ص١٢، الطبعة السادسة، دار الكتب الإسلامية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها د/ أحمد غلوش، ص١٠ طبعة دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

الدعوة الإسلامية هي: تبليغ المسلم والمسلمة الإسلام للناس جميعاً قولاً وعملاً وخلقاً لصالحهم تقرباً لله تعالى حسب الطاقة والمعرفة».

وشرح التعريف وبيانه يتلخص فيما يلي:

فكلمة (تبليغ) مرجعها واستنادها إلى قول الله تعالى لإمام الدعاة وخاتم الأنبياء ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ (الشورى: ٤٨).

وكلمة (المسلم والمسلمة): حددت من يقوم بمهمة التبليغ، وهو الداعية. وخرج من التعريف غير المسلم.

وكلمة (الإسلام) بينت الشيء المقصود والمراد تبلغيه وهو مادة الدعوة دين الله (ﷻ) الإسلام المأخوذة تعاليمه من القرآن والسنة، بما تضمنه من عقيدة وشريعة، وأخلاق، ونظم ومعاملات... إلخ.

وكلمة (الناس): أشارت إلى من يراد تبليغه الإسلام، وهم صنف المدعو ويخرج من التعريف غير الناس كالحيوانات والجن. أما الحيوانات فلعدم تكليفها وفهمها، وأما الجن فلعدم القدرة على رؤيتهم إذ ذكر القرآن عن إبليس وذريته ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ**﴾ (الأعراف: ٢٧) كما أن مهمة تبليغ الجن الدعوة تكون عن طريق المسلمين من الجن، وفي حالة ما إذا استطاع مسلم من الإنس رؤيته والحديث معه وتحمل ذلك بما لا يدع مجالاً للشك.

وكلمة (جميعاً): تفيد شمول وعموم الدعوة فهي للمسلمين وغيرهم وللعرب والأعجمي.

وكلمة (قولاً وعملاً وخلقاً): تدل على اسلوب الدعوة وكيفيتها ووسائلها.

وكلمة (لصالحهم): تحدد الغاية والهدف من الدعوة بما يعود على الناس فرداً كان أو جماعة بالخير والنفع في الدنيا والآخرة.

وكلمة (تقرباً إلى الله تعالى): تبين أن مقصود الداعية من الدعوة ليس من أجل الحصول على جاه أو منصب أو مال أو عرض من أعراض الدنيا ومتاعها، وإنما هو نوع من العبودية لله والتقرب إليه بعمل صالح.

وكلمة (حسب الطاقة والمعرفة): تذكر الميدان الذي تمارس فيه وبه الدعوة هل هو ساحة الحرب والقتال أم داخل المساجد أم في الشوارع والطرقات، أم بالمعاهد والكليات، أو على صفحات الجرائد والمجلات والمقالات. أم بين الكتب والمطبوعات والمؤلفات، أم عند التجار والمزارعين. أم في المصانع، والمعامل والمستشفيات... إلخ؟.

والمراد:

الكل يعمل ويبلغ حسب مكانه، ومعرفته بالأسلوب والطريقة التي تناسب مستوى هذا الميدان وأصحابه التزاماً بقول الله (ﷻ) وأمره ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (النحل: ١٢٥).

وبعد تلك الجولة مع كل لفظ من ألفاظ عنوان البحث: «تأملات إرشادية في أساليب الدعوة الإسلامية» أضع بين يدي القارئ المضمون العام لهذه الألفاظ ومحتواها وجمعها في سياق واحد فأقول: المراد من هذا: التدبر والنظر والتثبت الصحيح والسديد المرشد في المؤلفات التي تكلمت عن أهم أساليبها: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن.. والحديث الآتي يدور مع كل أسلوب على حدة فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: أهمية الأساليب:

جعل الله (ﷻ) الدعوة إليه شعيرة من شعائر الدين الإسلامي، ويتضح هذا من أمر الله (ﷻ) الدعاة إلى الله بقوله: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ**

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)

ولهذا يجب أن يكون للدعوة الإسلامية دعاة يدعون إلى الله على هدى وبصيرة، ويدافعون عن الإسلام بالحجة والبرهان ويردون كيد الكائدين بالإقناع عن طريق أساليب الدعوة التي ينبغي عليهم اتباعها، وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن، وهذه هي الأساليب العامة والأساسية للدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان منذ أن خلق الإنسان إلى أن تقوم الساعة.

ومن المعلوم بداهة أن القرآن الكريم وهو المصدر الأول من مصادر التربية الدينية، قد نوع في استخدامه للأساليب بحسب المدعوين.

فتارة يستخدم أسلوب البرهان العقلي المدعم بالحجة المنطقية لمن يساورهم ريب أو شك أو ظن بسيط.

وتارة ثانية يستخدم أسلوب الجدال والمناظرة بفرض الفروض مع تفنيدها بالأدلة لإثبات غيرها وذلك لمن يقدسون العقل وافتراضاته، والماديين الذي لا يؤمنون بسوى المادة.

وتارة ثالثة يستعمل أسلوب القصص فيذكر القصة الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة حسب الوضع العام للسورة وهو يريد الوصول من وراء ذكرها إلى غاية معينة، ودرس مهم، وتارة رابعة يركز على أسلوب الترغيب مع الذين تطمح مشاعرهم وأفئدتهم ونفوسهم إلى الثواب والرحمة.

وتارة أخرى يستخدم أسلوب الترهيب مع من لا يردعهم إلا التخويف، والتهديد والعذاب... إلخ. وغير ذلك من الأساليب كضرب الأمثال، والمقابلة بين الأضداد أو الجمع بين الترغيب والترهيب في موقف واحد.

ولقد تنوعت الأساليب بحسب تنوع الناس.. لأن الناس طوائف شتى فمنهم

المسلم الملتزم، ومنهم المسلم العاصي المنحرف، ومنهم الوثني، ومنهم الملحد، ومنهم العلماني الإباحي، ومنهم الشرس[1] العنيد[2] قال تعالى: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ**﴾ (ق: ٢٥).

ومنهم الخلوق المهذب والرقيق المشاعر، وذو القلب المنيب والعقل المستنير... إلخ، ولذا فمنهم من يناسبه الترغيب، ومنهم من يصلح معه الترهيب، ومنهم من يصلحه الرفق، ومنهم من يرشد بغيره.

وللحكام وأولى الأمر نصح وأسلوب يجدي معهم، وللعلماء وأهل الذكر أسلوبهم، وللعامة ما يناسب عقولهم وأحوالهم وظروفهم، وأسلوب دعوة الفقير غير أسلوب دعوة الغنى... إلخ.

والحكيم هو الذي يخرج لكل ما يلائم وضعه، وقدره، وحالته، ويضع كل أسلوب في موضعه ليأتي بثمرته المرجوة.

يؤكد على هذا التنوع الإمام الشيخ محمد أبو زهرة في مؤلفه (تاريخ الجدل) بقوله: إن طبائع الناس متفاوتة، ومشاربهم متباينة، وأهوائهم متضاربة، ومسالكهم في طلب الحق مختلفة، فمنهم من يصدق بالبرهان، ولا يرضيه إلا قياس تام أو ما يجرى مجراه، أو يسير في طريقه، وهؤلاء هم من غلبت عليهم الدراسات العقلية، والنزعات الفلسفية، وهذا الصنف من الناس قلة بالنسبة لغيرهم من بني الإنسان.

ولعل هذا الصنف الذي أمر الله نبيه أن يدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة في قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ (النحل: ١٢٥)،

---

(١) الشرس: يقال: شرس المرء شراسة: ساء خلقه. المعجم الوجيز: ص٣٤٠.

(٢) العنيد: يقال: عند فلان عنداً وعنوداً استكبر وتجاوز الحد في العصيان، وخالف الحق ورده وهو يعرفه، فهو عاند وعنيد. المعجم الوجيز: ص٤٣٦.

ومنهم من غلب عليه مذهب ديني أو غير ديني قد استأثر بلبه[1]. وسيطر على هواه، وسد مسامع الإدراك في قلبه إذا استولت عليه نحلة مذهبية فتعصب لها. وهؤلاء لابد لهم من طرق جدلية تزيل ما لبس الحق عليهم، ولعله الصنف الذي أمرنا الله (ﷻ) بمجادلته بالتي هي أحسن في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (العنكبوت: ٤٦) أما الجمهور الأعظم من الناس فليس هؤلاء، ولا أولئك، بل هو في تفكيره أقرب إلى الفطرة وسلامتها، وحسنها وجمالها وإخلاصها وبراءتها، وهو لا يخاطب بتعقيد المنطق ونظرياته وتصوراته وقضاياه كالحملية والجزئية والسلبية والمفهوم والماصدق ولا بتفكير الفلاسفة، ولا بما يرضى المتفكرين تفكيراً علمياً. بل يليق به ما التقى فيه الحق بالتأثير الوجداني وليس ذلك إلا بالأسلوب الخطابي العاطفي أو ما يقرب منه»[2].

فاختلاف النفوس والشهوات والطبائع والبيئات والقدرات التفكيرية والخصائص الإنسانية من ذكورة وأنوثة، والحالات الاجتماعية من فقر وغنى وصحة ومرض يقتضى اختلاف أسلوب التربية، فما يصلح لهذا قد لا يصلح لذاك. علماً بأن: الكلمة لها دور في التربية، ووجب أن تكون الكلمة قد تربت تربية تؤهلها للقيام بدورها المأمول فيها مَنْ قبل من أرسلها طائرة مِنْ لسانه. وإن تعجب في هذا الصدد فأعجب لإنسان يحرص على تربية كلب الصيد تربية تؤهله لأن يصطاد ما يشاء، ولا يحرص نفسه على تربية كلمة يرسلها هناك فهي تارة صائبة وتارات طائشة، ثم يكون من بعد ذلك ندم لا يسمن ولا يغني من جوع.

---

(١) اللب من كل شيء خالصه وخياره، ولب الجوز واللوز ونحوهما ما في جوفه والعقل والجمع ألباب واللبيب ذو اللب والجمع ألباء. المعجم الوجيز: ص٥١٩.

(٢) تاريخ الجدل للإمام الشيخ محمد أبو زهرة: ص ٦٠، ٦١ بتصرف،طبعة دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٨٠م.

وإن تربية الكلمة لها معايير وضوابط كما أن لها خطورتها في قيادة النفوس والأذهان، وقد ضرب الله مثلاً للكلمة الخبيثة وأثرها، وضرب (ﷻ) مثلاً للكلمة الطيبة التي تربت، وتهذبت وفق معايير الدين الحنيف، والعرف السليم بأنها كالشجرة الطيبة التي تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٦)[١].

إن الكلمة في الحقيقة برهان ساطع على ما هو في القلب مكنون ولله در الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا[٢]

ورحم الله من قال ناصحاً لمن يتكلم بأي كلمة فقال:

وزن الكلام إذا تكلمت فإنما يبدي عيون ذوي العقول المنطق

وطيب الله ذكر من يحذر الإنسان أن يخوض في عيوب الناس باللسان ملفتاً إياه بأن الناس لها ألسنة فقال:

إن شئت أن تحيا سليماً من الأذى وحظك موفور وعرضك صيّن
لسانك لا تذكر به عورة امرئٍ فكلُّك عورات وللناس ألسن

---

(١) تقرر الأمر: استقر وثبت، واستقر بالمكان تمكَّن منه و سكن، و القرار: المكان المنخفض يجتمع فيه الماء، والمستقر: القرار والثبوت، والمقر: موضع الاستقرار. المعجم الوجيز: ص٤٩٦ بتصرف.

(٢) الأفق المبين، أ.د/ عبد الباسط عطايا، ص٤٤، ٤٥ بتصرف، مكتبة علاء الدين بشبين الكوم.

والداعية في مجال الدعوة لابد لها أن يدرك أن الأساليب المناسبة لها دور كبير وأهمية عظمى في التأثير على من يدعوهم إلى الله وهذا ما نحن بصدد ذكره فيما يلي:

أهمية الأساليب:

من الجوانب المهمة في دعوة الناس أن يدفع بهم الدعاة إلى أشياء مثمرة، لأن التفاعل المجرد يبقى أثره محدوداً، ولكن حينما يستثمر التفاعل في بناء المجتمع ونشر الدعوة وبذل المعروف سيسهم ذلك في إخراج طاقات كثيرة تبدع وتنفع. ومرد ذلك يرجع إلى معرفة أهمية الأساليب في إحياء العقول والقلوب وذلك هو النجاح الحقيقي للدعاة والذي يتحدث عن ضرورته أحمد بن عبد الرحمن الصويان في مؤلفه (في البناء الدعوى) فيقول: «والنجاح الحقيقي للمصلحين ليس بالقدرة على أن يصرفوا وجوه الناس إليهم فحسب، بل بالقدرة على إحيائهم واستنبات البصيرة في عقولهم، فمن تبعهم تبعهم بحجة وبرهان.

إن وضوح الأهداف يعين كثيراً على الاعتبار بالماضي واستبصار الحاضر واستشراف المستقبل، ويدفع إلى رسم أطر واضحة يعرف فيها بدقة ما الموضوعات التي سوف يتحدث عنها؟ وما القواعد التي يريد بناءها؟ وما الأمراض الفكرية والمنهجية التي يقصد معالجتها؟ وما أنسب السُّبل لتحقيق ذلك؟

ويتميز المصلح الجاد بقدرته على تلمس احتياجات الناس، ويغلب على كثير ممن يعتنى بمخاطبة الجماهير اعتماد الخطاب العاطفي الذي يبنى على استثارة المشاعر، ولا شك في أن هذا مطلوب ولا غنى للناس عنه. ولكنه وحده لا يكفى على الإطلاق، بل إن الاكتفاء به وحده قد يؤدى إلى خلل في البناء، نعم قد

تجمع العاطفة أناساً كثيرين ولكنها وحدها لا تحيي أمة ولا تبني رجالاً ولا تجعلهم يثبتون أمام الأعاصير والفتن[١].

ويواصل الحديث مؤكداً على أهمية التنوع في الأسلوب.

واعتقد بأن الارتقاء بمستوى الطرح والمعالجة في غاية الأهمية، فما يصلح في المدرسة قد لا يصلح في الجامعة، وما يصلح في المسجد قد لا يصلح في وسائل الإعلام، وما يصلح في هذا البلد قد لا يصلح في البلد الآخر.. وهكذا ونجاح الداعية في تحقيق أهدافه، ونشر رسالته مرتبط ارتباطاً وثيقاً بقدرته على الاتصال بالناس فالدعوة إلى الله تعالى تفاعل تبادلي بين الداعية والمدعوين»[٢] هذا التفاعل التبادلي يحتاج إلى جمال في الأسلوب يرتبط به كي يتحقق أثره وهذا ما أذكره فيما يلي:

جمال الأسلوب:

إن حبة الرمان بهيئتها ولونها جميلة وتلفت النظر ويزداد جمالها بإضافة البعض إليها في بوتقة واحدة، ويفيض الجمال جمالاً باهراً عندما ينظر المرء إلى بعض المجموعات المتراصة جنباً إلى جنب ويفصل بينهما القشر الأبيض أو الأصفر، وكذا اللؤلؤة وخاصة عندما يسطع عليها ضوء الشمس، وروعة جمالها عندما تضم مجموعة من اللآلئ في عنقود واحد تتزين به المرأة وتضعه على

(١) في البناء الدعوي- المجموعة الأولى تأليف أحمد بن عبد الرحمن الصوبان ص١١٠، ١١٢، بتصرف الطبعة: ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢) المرجع السابق: ص١١١: ١١٤، بتصرف واختصار.

جيدها وحول رقبتها، تتحلى به، ويزهو جمال عنقود اللؤلؤ حين يفصل بين حباته بدرة كبيرة أو أكثر[1]

وقد ضرب الله (ﷻ) مثلاً لنوره به في القرآن مع أنه (ﷻ) يتجلى عن المثال.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ (النور: ٣٥).

والحال في المخلوقات وما أبدع الله في كونه (ﷻ) يحاكيه، ويماثله تناسق الألفاظ والكلمات والعبارات التي تجري من ألسنة الناس:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

عن تلك العلاقة المتشابهة وعن قيمة جمال الألفاظ في القرآن أو الجمال القرآني يقول **الأستاذ الدكتور عبد الباسط عطايا:**

"الجمال أنساق متناسبة وأبعاد متكاملة من غير نشاز ولا انحراف، فكل نشوز عن هذه الأنساب أو الأنساق هو القبح عينه، والفحش ذاته، وإذا أردنا أن ندرك جمال الإسلام فى أنساقه، وجمال القرآن فى توجيهاته فما علينا إلاَّ أن نستقرئ بعضاً من دلالات الألفاظ وإيحاءاتها إذ توجد علاقة ناهضة بين اللفظ فى وضعه الحسى ودلالته المعنوية... وإذا وقعت العين السليمة على فحش ما استنكرته واستبشعته بل إنَّ النفوس الجميلة تتأذَّى من أى فحش وقبح. فإذا قال الله تعالى **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾** (النحل: ٩٠)، فإننا ندرك الفحش بمعناه القبيح فى وضعه الحسِّى. إذ هو ضد الحسن. والعبد عندما يرتكب «فاحشة» يكون على قبح ودمامة، وعندما

(١) الدرة: واحدة الدر، وهي اللؤلؤة العظيمة، والدري: الكوكب المتلألئ، الضوء والجمع دراري، المعجم الوجيز: ص٢٢٥.

يبتعد عن الفحش يلتصق بهذا الحسن والجمال، ومِن ثَمَّ نرى أن الإسلام فى أنساقه جمال وحسن، والله جميل يحب الجمال، إنَّ المنهج الإسلامى مَرْسم بارع للجمال، ويقود إلى الجمال الذى هو أعظم غذاء تعيش به النفوس السويَّة، بل وفى المخلوق المسخر للإنسان جمال ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾، (النحل: ٦)، كما أن الجمال ليس هو جمال الظاهر فقط، أو الحس فقط، وإنما أعظم الجمال، هو جمال يقود النفس إلى الجميل وهو الله (ﷻ)، فالإيمان جمال والإشراك نجاسة ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾، (التوبة: ٢٨)، وفي حق جمال أهل الإيمان وطهارتهم يقول الله (ﷻ): ﴿**لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ (التوبة: ١٠٨)، والحق جمال والباطل قبح، والخير والرحمة والصدق، والمودة، كل ذلك جمال والقسوة والشر، والكذب والبهتان، والجفاء والقطيعة كل ذلك قبح ودمامة. فالإسلام كله جمال" (١)

وأنتقل من هذه الإطلالة على الجمال المعنوي الحسي في مظاهر الخلق إلى الحديث عن ما سبق التنويه عليه وهو المهم للداعية والمقصود بذلك جمال الأسلوب وأقتطف مما سرده الأستاذ الدكتور محمود عمارة في مؤلفه (الخطابة بين النظرية والتطبيق) بعضاً مما ذكره تحت عنوان: جمال الأسلوب: "لا يكفي أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال – بل يجب أن يقوله كما ينبغي – وإذا كان الداعية يتخذ سبيله إلى قلب المستمع وعقله، فلا بد أن تصح وجهته ليحدث الأثر المرجو وذلك باللفظ الجميل والأسلوب الرائق والصوت المعبر، والإلقاء الذي يعين على إبراز المعاني، وإذا كان يتعامل مع عين المستمع بالإشارة والوقفة والملامح فإنه

(١) الأفق المبين، أ.د/ عبد الباسط عطايا: ص٧٩، ٨١، بتصرف واختصار، مكتبة علاء الدين بشبين الكوم.

يتعامل مع الأذن بالأسلوب الجميل.. وإذا كان في الإعلام المعاصر ما يبث الباطل ويزينه، ويخدع الناس به كما يزين الشيطان لأوليائه أعمالهم ويجملها، فلماذا لا نثبت الحق ونجمله ونرغب الناس فيه...

أي عقل بصير لا يعشق جمال البيان ولا يمتطي جواده، وبه كمال الإنسان؟ تستدل به العقول على الله، ويرفع الحجب عن وجه الحق، وهل هناك سعادة للإنسان وراء تلك السعادة؟

ومن الثابت أن الزينة من الجمال وأن كثيراً من المقاصد والمطالب إذا قدمت إلينا مغلفة بزيناتها كنا أكثر قبولاً لها وانسجاماً معها... لأن جمال الزينة قد جذبنا إليها، وأقنع عواطفنا وانفعالاتنا بقبولها لنحظى بلذة الاستمتاع بالجمال فتتحقق من وراء ذلك المقاصد الأساسية وهذه الحقيقة تشمل الأفكار فإذا قدمت بعض الأفكار المقصودة،وما اشتملت عليه من مطالب اعتقاد أو عمل ممتزجة أو مقرونة بزينات جميلة فكرية أو لفظية كانت النفوس أكثر انجذاباً إليها، وقبولاً لها. ثم تمسكاً بها أو عملاً بما يطلب فيها.. وكما أن الحسيات الجسدية يحتاج كثير منها إلى ما يجمله ويحسنه ويزينه للنفوس حتى تستسيغه، كذلك الأفكار التي نريد تقديمها إلى الآخرين، قد يحتاج كثير منها إلى ما يجمله ويحسنه، ويزينه للنفوس حتى تستسيغه وهذا التجميل والتزيين والتحسين هو من عناصر الأدب الرفيع لا محالة.

إن على الحق أن يتخذ من الجمال سلاحاً في مواجهة الباطل الخداع، وللأسلوب الجميل الأخاذ قدرة على التأثير بما تحمله الكلمات من سحر وما لهن من سلطان، فإن الألفاظ من المعاني بمنزلة الثياب من الأبدان.. وإن جمال الأسلوب لازم كما أن كمال المعنى مطلوب أيضاً. فباجتماعهما يتم للكلام نصيب به من التأثير.. وإن العناية بجمال اللفظ إنما هي أساساً من أجل المعاني، ويكفي اللغة العربية شرفاً أنها الطريق إلى فهم أسرار القرآن الكريم وليس كل الأسرار

وإذن فمدارستها والتعمق فيها واختيار أوفق الأساليب وأليقها بطبيعة الإنسان جمالاً وإشراقاً يأخذ أهمية هذه الغاية[1].

إن اختيار الألفاظ الحسنة والكلمات المهذبة، والعبارات الدقيقة، والجمل المتناسقة والأسلوب الجميل عامة لابد أن يكون أحد مظاهر الحكمة، ودلائل الموعظة الحسنة وبراهين الجدل بالتي هي أحسن، وهي الأساليب التي أتحدث عنها بالتفصيل التالي:

أسلوب الحكمة:

الحكمة في اللغة: تطلق على عدة معان، منها العدل، والعلم، والقرآن، كما تطلق على العلة: يقال: حكمة التشريع، وما الحكمة من ذلك،و من الكلام يسير اللفظ جليل المعنى. ويقال للرجل حكيم إذا أحكمته التجارب وأحكم الأمر أتقنه والتجارب فلاناً جعلته حكيماً، والتفقه، جاء في القرآن الكريم ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ (لقمان: ١٢) والحكيم من أسماء الله تعالى والذكر الحكيم: القرآن لأنه الحاكم للناس وعليهم، ولأنه محكم لا اختلاف فيه ولا اضطراب»[2].

وفي الاصطلاح: إصابة الحق بالعلم والعقل. فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات، وفعل

(١) الخطابة بين النظرية والتطبيق، د/ محمود محمد عمارة: ص٢٣١- ٢٤٢ بتصرف واختصار، مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٢) المعجم الوجيز: ص١٦٥ بتصرف.

الخيرات، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وقيل وضع الشيء في موضعه. وقيل الإصابة في القول والعمل معاً [1].

وقيل: الفهم عن الله (ﷻ) قال تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ (البقرة: ٢٦٩)

فضل الحكمة: وفضل الحكمة عظيم، يدل عليه أن الله (ﷻ) لا يعطيها إلا للمخلصين من عباده، ويدل على شرفها وعظمتها أن الله (ﷻ) من أسمائه الحسنى الحكيم، وأن القرآن الكريم كلام الله (ﷻ) كتاب أحكمت آياته، وأن النبي (ﷺ) أرسله الله (ﷻ) للعالمين ليعلمهم الكتاب والحكمة، ولحاجة الداعية إليها ملأ الله (ﷻ) قلب رسول الله (ﷺ) بها قال رسول الله (ﷺ): "فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي وعرج إلى السماء، فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل (عليه السلام) لخازن سماء الدنيا افتح... » [2]

وتعليمها للناس من مقاصد بعثته وأهداف رسالته (ﷺ) قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ (الجمعة: ٢) وذلك استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ (البقرة: ١٢٩)

---

(١) البحر المحيط لابن حبان: ٣٩٣/١،و مفردات القرآن: ص١٢٧، والكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوى: ص٣٨٢، تحقيق د/ عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة ٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله (ﷺ) إلى السماوات: ص٥٥، مكتبة أولاد الشيخ.

قال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه(١).

ولعظم أثرها في نفوس المدعوين أمر الله (ﷻ) بالدعوة بها فقال (ﷻ): ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ (النحل: ١٢٥) لأنها الخير الكثير لمن يؤتاها، وقد وضع القرآن ذلك فقال (ﷻ) ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾ (البقرة: ٢٦٩) ودعا رسول الله (ﷺ) لابن عمه العباس أن يعلمه المولى إياها، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "ضمني النبي (ﷺ) إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة"(٢)

والغبطة فيها واجبة على آحاد المسلمين لا سيما الدعاة منهم لما تؤدى إليه من رفعة في الدنيا وعلو منزلة في الآخرة حيث قال النبي (ﷺ): "لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" (٣).

الدعوة بالحكمة لمن تكون؟

وأسلوب الحكمة: يناسب المستجيب القابل الذكي، الذي يعترف بالحق ويتبعه، ولا يأباه ولا يعانده. والحكمة المرادة مع هذا الصنف من الناس المقالة المحكمة الصحيحة، المصحوبة بالدليل الموضح للحق، المذيل للشبهة.

وفي هذا الأسلوب يتناسب في المقام الأول مع العلماء، وإن كان يدخل في الأساليب الدعوية الأخرى، فلا غنى للداعية عن صحبته في كل مواقفه الدعوية، مع كل أصناف المدعوين.. ومن الحكمة مع العلماء أن يسلك الداعية معهم

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم: ٦٧/٢، طبعة دار التراث العربي، بيروت.

(٢) رواه البخاري في الفضائل رقم ٣٧٥٦، صحيح البخاري، فتح الباري لابن حجر العسقلاني، طبعة المكتبة السلفية.

(٣) صحيح مسلم: ص٢٠٨، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.

مسلك الصداقة والتوقير والإجلال الكامل، ويحرص على ألا يتقدم أحداً منهم في درس أو محاضرة أو خطبة أو ندوة أو مناظرة.. إلخ.

وإذا كان يدرِّس أو يحاضر، وقدم أحدهم، فمن الحسن أن يتنحى له، ويقدمه إلى الناس فإن لهذا الأسلوب أثره العظيم في نفوس الدعاة والعلماء، به ينال الداعية محبتهم، واحترامهم وتقديرهم له، ويتحقق به بينهم التعاون على تبليغ الدعوة، وتحقيق الخير للمسلمين، والعامة يتأثرون كثيراً بهذه المواقف الطيبة للدعاة مع بعضهم، وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «أمرنا رسول الله (ﷺ) أن ننزل الناس منازلهم مع ما نطق به القرآن» [1] يعطي كل ذي حق حقه وينزله منزلته.

إن للدعوة إلى الله تعالى بالحكمة قوم وبالموعظة قوم، و بالمجادلة قوم، و علة ذلك أن الحكمة إذا غذي بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير، و المجادلة إذا استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوي من الارتضاع بلبن الآدمي، وأما من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذي البدوي بخبز البر، وهو لم يألف إلا التمر، أو الحضري بالتمر وهو لم يألف إلا البر (القمح).

أمثلة و شواهد للحكمة:

١) من حكمته (ﷺ) قبل البعثة وتلقي الوحي والرسالة ما حدث يوم أرادت قريش هدم الكعبة وتجديد بنائها حتى بلغ البنيان موضع الركن، فأرادت كل قبيلة رفعه إلى موضعه، أعنى بذلك الحجر الأسود، حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنةً مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم

(١) صحيح الإمام مسلم: مقدمة الإمام مسلم: ص٦، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك، فمكثوا على ذلك أربع ليال ثم تشاوروا. فقال أبو أمية بن المغيرة، وكان أسن قريش: اجعلوا بينكم حكماً أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم، فكان أول من دخل رسول الله (ﷺ) فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا به، وأخبروه الخبر،

لقبت أمين القوم في صغر وما الأمين على قوم بمتهم

فقال (ﷺ): هلموا إلي ثوباً، فأتي به، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا. فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بني عليه(١).

فبحكمته (ﷺ) استطاع أن يمنع التنازع والتقاتل وأن يحل محله المحبة والوئام، وكان (ﷺ) حكيماً بحق.

٢) من أروع ما يروى في أسلوب الدعوة بالحكمة موقف سيدنا مصعب بن عمير الصحابي الجليل أول سفير في الإسلام مع أهل المدينة، فبعد بيعة العقبة الأولى في سنة إحدى عشرة من البعثة، اختاره رسول الله (ﷺ) لدعوة الناس في المدينة إلى الإسلام، وتفقيههم في دين الله (ﷻ)، وعندما وصل مصعب إلى يثرب نزل على أسعد بن زرارة، وأخذ مصعب يؤدى مهمته في الدعوة إلى الله تعالى، وخرج به أسعد بن زرارة يوماً إلى دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر على بئر يقال له: بئر مرق فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، يومئذ سيدا

(١) الكامل في التاريخ للإمام الدين أبي الحسن الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير : ٥٧٢/١، بتصرف وغيره من كتب السيرة والتاريخ. ولمزيد من التفصيل ينظر: كتاب: دلائل النبوة للحافظ الكبير المحدث الشهير أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: ٥٥/١-٥٦، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون.

قومهما من بني عبد الاشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به، قال سعد لأسيد: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما، وانههما أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما.

فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال فوقف عليهما متشتما فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، قال: ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، وهو سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا. قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسا. وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت،

(واحتال أسيد على سعد من أجل أن يذهب إلى مصعب لكي يحدث له ما حدث له.)

فقام سعد بن معاذ مغضبا، وأخذ الحربة، ثم خرج إليهما سعد فلما رآهما مطمئنين، عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتما؟ ثم قال لاسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. فقال مصعب لسعد: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا رغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن. قالا فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون(١).

فرضي الله عن مصعب بن عمير، وعن حكمته البالغة في دعوة الناس إلى الله، يقول لكل من يأتيه غاضباً أو متشتماً، أو ساباً، أو متأبياً أو مغلظاً له القول: إن يجلس أكلمه لأن الجلوس يذهب حمية الغضب ويرد للنفس توازنها، فتعي ما

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٢/٣، طبعة دار الفكر العربي، وسيرة ابن هشام ٤٣/٢، مكتبة الجمهورية.

تسمع، وتعقل ما يلقى عليها.. بل يطلب الجلوس بقوله: أو تجلس فتسمع.. أي: اهدأ ويمكنك الجلوس وبعد أن تسمع.. ثم وبأسلوب يتقاطر رقة، وإنصافاً وأدباً واحتراماً لعقلية المخاطب وتبجيلاً لشخصه الكريم يتمثل ذلك في قول مصعب: فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره.

ولذا لم يسع أسيداً وسعداً أمام هذا الأسلوب الحكيم إلا أن يقول كلاهما له: أنصفت.

وأصغى كل واحد منهما في تجرد إلى حسن عرض مصعب (ﷺ) للإسلام، وتلاوته للقرآن، وكل هذا محفوف بعناية الله ورعايته، فيلهم الله زرارة أن يذكر مصعب بالصدق مع الله في الموقف، الذي يترتب على نجاحه إسلام جم غفير، وتحقيق نصر كبير فيزداد مصعب (ﷺ) بهذه التذكرة صدقاً على صدقه، وإخلاصاً على إخلاصه ويستعين بالله الذي بيده القلوب،فيفيض القلب المخلص، المحب لهداية الناس على اللسان صدقاً وحكمة ورقة وأدباً، تأسر النفوس، وتأخذ بتلابيب[1] القلوب، وترسخ فيها يقيناً أن داعيها لا يريد بها ولها إلا الخير، فتصغي وتستجيب، بل تحب وتتفانى في دعوة الناس وإشراكهم في هذا الأمر العظيم والخير العميم.

فإذا باشر نور الإيمان بشاشة قلب أبى هذا النور إلا أن يشع على من حوله هادياً إلى الطريق الأقوم، دالاً على صدق إيمان صاحبه بحبه للناس ما يحب لنفسه.

(١) تلبب الرجل: أخذ كل منهما بلبة صاحبه، والتلابيب: أمسك بخناقه، واللبب: موضع القلادة من الصدر من كل شيء، المعجم الوجيز: ص٤٤٨، ٤٤٩، بتصرف.

٣) الحكمة تنهي الخصومة، ويتخلص بها المرء من المواقف الحرجة والصعبة، والعسيرة، من ذلك قصة المرأة التي فوتت على زوجها الطلاق والتي ذكرها مؤلف الأجوبة المسكتة في أدبنا العربي

قال لها زوجها وهو غضبان: وهي تصعد سلم البيت: أنت طالق إن صعدت السلم وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت، ففوتت عليه ما أراده وقفزت من فوق السلم. فلم تصعد ولم تنزل، ولم تقف، وهكذا كان ردها مسكتاً مفحماً[١].

والقصة لا تحتاج إلى تعليق وهي تعد من طرائف الحكمة.

٤) الإمام على (ﷺ) يدحض دعوى الملحدين بالحكمة ويثبت لهم وجود الله:

ذكر الشيخ ابن تيمية في مؤلفه درء تعارض العقل والنقل ما يلي:

"اجتمع طائفة من الملاحدة به (~) فقالوا: ما الدلالة على وجود الصانع؟ فقال لهم: دعوني فخاطري مشغول بأمر غريب، قالوا: ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها فقالوا له: أمجنون أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا أهذا يصدقه عاقل؟ فقال: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة وهذا الفلك الدوار السيار يجري وتحدث هذه الحوادث بغير محدث وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟ فرجعوا على أنفسهم بالملام، لأن كل حركة لابد لها من محرك، وكل صنعة لابد لها من صانع، وكل

(١) الأجوبة المسكتة في أدبنا العربي، محمد إبراهيم سليم: ص١٤٨، طبعة دار الطلائع: ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م، نقلاً عن جهاد المرأة في نقل الدعوة، أ د/ محمد رمزي فواز، ص٢٥٧، ٢٥٨، دار اللوتس ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠ م.

فعل لابد له من فاعل، وكل أثر لابد له من مؤثر، وكل قتيل لابد له من قاتل وكل زرع لابد له من زارع، وكل حديث لابد له من متكلم[1].

فقد استدل (ﷺ) على الخالق بوجود المخلوق، وعلى الصانع بوجود الصنعة إذ تقرر العقول بداهة أن لكل خلقة خالقاً، ولكل صنعة صانعاً، لأنه لا يمكن أن توجد خلقة بلا خالق، او صنعة بلا صانع، وهذا هو ما استدل به الأعرابي لما سئل عن الله تعالى فقال: البعرة تدل على البعير، وخط السير يدل على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وأنهار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على العلي الكبير؟ بلى يدل.

إن النظر في أحوال المخاطبين، وظروفهم، والقدر الذي ينبغي أن يستخدمه الداعية كل مرة في تبليغ رسالته بحيث لا يثقل، ولا يشق بالتكاليف قبل أن تستعد النفوس للتحمل الشامل للدعوة.

وطريقة المخاطبة والتنوع في الأسلوب حيث مقتضيات الأحوال، هو الحكمة التي تريدها الدعوة في العصر الحديث كبديل للحماس المتزايد، والاندفاع الملتهب، الذي يتجاوز حدود المحكمة. فيضر بالدعوة والداعية على السواء حقاً.

إن الحكمة من ألزم الأساليب التي يتحتم على الداعية أن يتخذها في كل ظرف مع كل صنف، وقد أمر الله (ﷻ) بالالتزام بها في الدعوة إليه سبحانه فقال جل شأنه: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (النحل: ١٢٥)، وقد بدأ الله (ﷻ) بأسلوب الحكمة في الدعوة إلى سبيله وطريقه، وهذا الأسلوب – أسلوب الحكمة – لو افتقده من يعمل في مجال الدعوة الإسلامية

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: ١٣٧/٣، نقلاً عن أصول الدعوة في الكتاب والسنة: ص١٤٤– ١٤٥.

لجانبه التوفيق في كثير من عمله ودعوته. ولربما أضر من حيث ابتغى النفع، وأفسد من حيث تمنى وأراد الإصلاح، وقد يسير على غير هدى، ويعرض مجهوده لأن يضيع سدى و﴿**إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾ (الكهف: ٣٠)، وفي الحديث عن أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله (ﷻ) باعتباره الأسلوب الأول الأهم مما ذكر غناء وكفاية.

وإلى الحديث عن الأسلوب الثاني وهو الموعظة الحسنة.

الدعوة بالحكمة لمن تكون؟
أمثلة و شواهد للحكمة:

القرآن الكريم، والسنة النبوية عندما يتناولان القضايا الأساسية والتشريعية وغيرها ما في الإسلام لم يصطنعا الأسلوب الجدلي الجاف المجرد ولكنهما اتخذا أسلوباً يناسب كل المستويات الفكرية، وفيه مقنع للباحث والمفكر والمتأمل في صنع الله وعظيم قدرته، وللرجل العادي ذي الحظ المحدود من الثقافة.

والدعوة في حاجة إلى مواكبة التيارات التي تجدّ على الساحة الفكرية حتى يتمكن الداعية من أن يخاطب الناس بما يفهمون، ويعرض عليهم من الأساليب ما يتواءم مع تفكيرهم وطريقة معالجتهم للأمور التي تواجههم ليكون ذلك أبلغ إلى التأثير فيهم وخاصة عندما يكون الكلام لا يتعارض مع العقل لأنه لو حدث ذلك فقد يترتب عليه فتنة لا تحمد عقباها، قال ابن مسعود (ﷺ): "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[١]

وعن اشتمال القرآن الكريم والسنة المطهرة لأنواع الأساليب لأجل إقناع المدعو يذكر أ.د/ محمد إبراهيم الجيوشي:

---

(١) صحيح الإمام مسلم، مقدمة الإمام مسلم، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع: ص٧، مكتبة أولاد الشيخ.

وفي استعراضنا للقرآن الكريم والسنة المطهرة نجد أنهما قد اشتملا على أنواع من الأساليب تعطينا الضوء الأخضر بأن نأخذ من أساليب العصر ما يعيننا على إقناع من نخاطب بما ندعو إليه.

أولاً: من القرآن الكريم: نرى أن الكتاب العزيز قد استعمل أساليب منظومة متنوعة في مخاطبته للأقوام على مدى العصور مستهدفاً إقناع المخالفين.

ثانياً: من السنة: أيضاً تنوعت الأساليب في السنة النبوية المطهرة، فقد أثر عن رسول الله (ﷺ) أساليب متنوعة في تبليغ دعوته[1].

واختلاف الطبائع يقتضى، ويتطلب اختلاف الأساليب، فما يصلح لهذا قد لا يصلح لذاك والأسلوب الذي يقنعني قد لا يقنع غيري.

وبعد تبيان وعرض أسلوب الحكمة جاء الدور على أسلوب الموعظة الحسنة نتأمل في دلائله ومعطياته كي يرشدنا إلى ما ينفعنا، ويدور محور الحديث عنه حول تعريفه وأهميته، والهدف منها والموعظة في القرآن الكريم، والموعظة في السنة النبوية، بأمثلة وشواهد على هذا الأسلوب.

الموعظة لغة: اسم مرة من الوعظ، ويطلق الوعظ في اللغة ويراد به ثلاثة ألفاظ: الوعظ والتذكير والقصص [النصح] يقول صاحب لسان العرب: العظة: النصح والتذكير بالعواقب، قال ابن سيده: هو تذكير الإنسان بما يلين قلبه من الثواب والعقاب"[2].

---

(١) من أساليب القرآن الكريم ومناهجه في الدعوة إلى الله، د/ محمد إبراهيم الجيوشي: ص٢١- ٢٤، بتصرف. سلسلة دراسات إسلامية، وزارةالأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عدد ١١٠، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ص٤٨٧٣ مطبعة دار المعارف بتصرف بدون.

وقال صاحب تهذيب الأسماء واللغات: وعظته وعظاً وعظة فاتعظ أي قبل الموعظة.(١).

قال صاحب القاموس المحيط: وعظته فاتعظ إذا أثرت فيه الموعظة وأفادت"(٢).

ويقول الشيخ على محفوظ: "الموعظة ما يوعظ به من قول أو فعل قال تعالى: ﴿**وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ (النور: ٣٤)(٣).

وجميع المعاني السابقة في اللغة متشابهة ومترادفة والمعنى الجامع للكل هو التذكير.

الموعظة اصطلاحاً: هي كما يقول الشيخ على محفوظ: تطلق على القول الحق الذي يلين القلوب، ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة، ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية(٤).

وعقب بعد ذلك بيان المرادف لها وهو التذكير والقصص..

إذن الموعظة من أهم الأساليب الدعوية، ولها دورها في الإعداد الخلقي والنفسي والاجتماعي، ولا تزال تترك أثراً في التبصير بالحقائق، والدفع إلى معالي الأمور، والتحلية بمكارم الأخلاق، والتوعية بمبادئ الإسلام.

والمقصود بالوعظ تقديم النصيحة ودعوة الناس إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة، وإرشادهم إلى ما ينفعهم في أمور الدين والدنيا والآخرة.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات لمحيي الدين النووي: ٢٦٦/٣، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي ٤٠٠/١.

(٣) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ: ص٧٢.

(٤) المرجع السابق ص٧١.

ووصف الموعظة بالحسنة يدل على أن هناك موعظة ليست حسنة، وهي السيئة، وهذا يعنى أن الموعظة قد تكون سيئة في الأسلوب المتبع في العظة، فهناك موعظة حسنة وموعظة سيئة، ولهذا وصفها القرآن في مجال الدعوة بأنها لابد أن تكون موعظة حسنة ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ (النحل: ١٢٥)، وعند إطلاق الموعظة تتجه إلى الحسن ومن هذا قوله (ﷻ) ﴿**فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**﴾ (النساء: ٣٤) وهو نفس المعنى عندما نجد لقمان (عليه السلام) ينصح ابنه ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (لقمان: ١٣).

وألفت النظر أن الموعظة أيضاً قد يراد منها التحذير بعد التذكير كما في قوله تعالى: ﴿**يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (النور: ١٧).

وإطلاق الموعظة في العرف فهو الخطابة الدينية كما يقول الدكتور إبراهيم عبد المنعم: ويطلق الإرشاد في العرف على الخطابة الدينية سواء كانت تعليمية لبيان المسائل الشرعية؛ اعتقادية أو عملية أو أخلاقية أو تأديبية لاتعاظ الناس من غفلتهم بالنصح والتذكير بالعواقب"(١).

ويؤكد على هذا المدلول الإمام الشيخ محمد أبو زهرة بقوله: الوعظ الديني: هو الأمر بالمعروف في الدين، والنهي عن المنكر فيه، وقد أجمعت الشرائع، واتفقت على وجوبه الأديان، فعليه قد قامت الدعوة إلى الله، وقد قال في وصفه الغزالي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه، وأهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفتنة، وفشت الضلالة، وشاعت

(١) الخطابة قول وعمل: د/ إبراهيم عبد المنعم محمد: ص١٧٧، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م مطبعة الشروق.

الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخوف وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد" (١).

أهمية أسلوب الموعظة الحسنة والهدف منه:

ترجع أهميته إلى أمور منها:

١- أن الله أمر به نبيه ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، والداعي إلى الله بإذنه في مثل قوله: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾ (النساء: ٦٣).

٢- أن النبي (ﷺ) على اعتبار أن الموعظة باب من أبواب النصح- قد أشاد بذلك وجعله من أسس الدين يقول (ﷺ): "الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(٢).

٣- أن أسلوب الموعظة الحسنة يدخل كل أمر من الأمور التي تتناول كافة شئون الحياة والدليل على ذلك مبايعة أصحاب النبي (ﷺ) له كما ورد في حديث جرير (رضي الله عنه) قال: بايعت رسول الله (ﷺ) على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعلى النصح لكل مسلم" وفي رواية "بايعت النبي (ﷺ) على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت، والنصح لكل مسلم" (٣).

٤- مجيء النصيحة على لسان الأنبياء واستخدامهم لها في الدعوة وبعض من عارضوها أفصحوا عن ذلك النصح بأنه الموعظة فما من نبي إلا ويرشد قومه قائلاً لهم: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف: ٦٢)، ويقول لهم: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾

---

(١) الخطابة: الإمام محمد أبو زهرة، ص١٨٨، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي: ١١٨٦/٧.
(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة: ص٣٠.
(٣) المرجع السابق: ص٣٠.

(الأعراف: ٦٨)، ﴿**وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾ (الأعراف: ٧٩)، وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ**﴾ (الأعراف: ٩٣).

ويرد القوم من قوم سيدنا هود (عليه السلام) قائلين: ﴿**قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ. إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ. وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (الشعراء: ١٣٦-١٣٩).

ويضيف الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد المنعم إلى ما سبق بعض الشواهد التي تدل علىأهمية الموعظة الحسنة فيقول:

ولأهمية الوعظ ذكر المولى (سبحانه وتعالى) هذه المادة في كتابه الكريم حواها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص٧٥٥، ومنها:

أ- ذكر المولى (سبحانه وتعالى) أن من الناس من يقبل الوعظ ويعمل به والذي يدفعه إلى العمل الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿**ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ (الطلاق: ٢)

ب- أسند الله (عز وجل) الوعظ إلى نفسه مما يدل على شرفه ومن يعمل في مجاله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (النحل: ٩٠)، وقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ**﴾ (البقرة: ٢٣١).

جـ- ذكر المولى (جل جلاله) كلمة الوعظ أو الموعظة في مواضع متعددة منها ﴿**فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ**﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وقوله تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٨)، ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً**﴾ (الأعراف: ١٤٥)،

د- ذكر الحق (ﷻ) أنه حينما تتعرض الحياة الزوجية لخوف الشقاق والخلاف بين الرجل والمرأة وتكون الزوجة هي الخارجة عن طاعة زوجها يجب أن يوجه إليها الوعظ لكي تستيقظ من غفلتها وتعود إلى رشدها وصوابها، وتمتثل أمر زوجها لأن طاعة الزوج من طاعة الله تعالى: ﴿**وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ**﴾ (النساء: ٣٤)، فأول درجة من العلاج هي الوعظ كما وضح القرآن الكريم.

وقد اشتهر من الأمة الإسلامية كثير من الوعاظ الذين كان لهم فضل السبق في هذا المجال، وتركوا أثراً كبيراً يحتذى بهم في ترقيق القلوب، واستمالة النفوس، وجذب الأفئدة بالموعظة الحسنة، والعمل بما يدعون إليه فكانوا في الخير قادة يدعون إلى ربهم على بصيرة وهدى من دينهم الحسن. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يقضون على الخلافات، ويقطعون دابر الشقاق، ويحافظون على المجتمع من التصدع والانهيار، وبهذا يظهر لنا قوة ما عليه أهل الحق في دعوتهم في وعظ وإرشاد للعقول أفراداً وجماعات"(١).

والقصة التالية من روائع الأدب العربي تبين ما للوعظ من أهمية ودور في حياة الناس، وكيف أنه بالأسلوب الحسن تحقن الدماء، ويُصلح بين ذات البين، وتحيي النفوس البريئة، ويقضى على الفساد ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ (المائدة: ٣٢)، القصة كلها وردت في المستطرف في كل فن مستظرف:

حكي عن الحارث بن عوف بن أبي حارثة أنه قال لخارجة بن سنان: أترى أخطب إلى أحد فبردني؟ قال: نعم، قال: ومن هو؟ قال: أوس بن حارثة بن لام

(١) الخطابة قول وعمل، د/ إبراهيم عبد المنعم: ص١٧٨: ١٨٠، بتصرف واختصار.

الطائي، قال: اركب بنا إليه، فركبنا إليه حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده، فوجدناه في فناء منزله، فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحبا بك يا حارث، ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جئت خاطبا، قالت: لست هناك فانصرف ولم يكلمه، فدخل أوس على امرأته مغضبا، فقالت له: من الرجل الذي سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه؟ فقال: ذلك سيد العرب الحارث بن عوف، فقالت: فما لك لا تستنزله؟ قال: إنه استهجنني، قالت: وكيف؟ قال: لأنه جاءني خاطبا، قالت: ألست تزعم أنه سيد العرب؟ قال: بلى، قالت: إذا لم تزوج سيد العرب في زمانه فمن تزوج؟ قال: قد كان ذلك، قالت فتدارك ما كان منك، قال: فبماذا؟ قالت: بأن تلحقه فترده، قال: وكيف وقد فرط مني إليه ما فرط؟ قالت: تقول له إنك لقيتني وأنا مغضب لأمر فلك المعذرة فيما فرط مني فارجع ولك عندي كل ما طلبت، قال: فركب في أثرهما، قال خارجة بن سنان: فوالله إنا لنسير إذ حانت مني التفاتة فرأيته فقلت للحارث وهو ما يكلمني: هذا أوس في أثرنا، فقال: ما أصنع به، فلما رآنا لا نقف قال: يا حارث اربع علي، فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً، قال خارجة بن سنان: فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة أكبر بناته، فأتته، فقال لها: أي بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين؟ قالت: لا تفعل قال ولم؟ قالت: لأن في خلقي رداءة وفي لساني حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجارك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة. قال لها: قومي بارك الله فيك، ثم دعا ابنته الأخرى فقال لها مثل قوله لأختها، فأجابته بمثل جوابها، فقال لها: قومي بارك الله فيك، ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا، فقال لها مثل ما قال لأختيها، فقالت له: أنت وذاك فقال لها: إني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها مقالتهما، فقالت: والله

أني الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فإن طلقني فلا أخلف الله عليه، فقال لها: بارك الله فيك، ثم خرج إليه فقال زوجتك يا حارث بابنتي هئيسة، قال: قد قبلت نكاحها، وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شأنها، ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله إياه، ثم بعثها إليه، فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج إلي، فقلت له: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله، قلت: له وكيف ذلك؟ قال: لما مددت يدي إليها قالت: مه أعند أبي وأخوتي هذا والله لا يكون، ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معا وسرنا ما شاء الله، قال لي: تقدم، فتقدمت، فعدل عن الطريق، فما لبث أن لحقني، فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله، قلت: ولم؟ قال: قالت تفعل بي كما يفعل بالأمَة السبية الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي، فقلت والله إني لأرى همة وعقلا، فقال: صدقت، قال: أرجو الله أن تكون المرأة النجيبة، فوردنا إلى بلادنا فأحضر الإبل والغنم ونحر وأولم، ثم دخل عليها وخرج إلي، فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله، قلت ولم ذلك؟ قال: دخلت عليها أريدها فقلت لها أحضرت من المال ما تريدين، قالت: والله لقد ذكرت من الشرف ليس فيك، قلت: ولم ذاك؟ قالت: أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا، وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت: فماذا تقولين؟ قالت: اخرج إلى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك ما تريد، فقلت: والله إني لأرى عقلا ورأيا سديدا، قال: فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهما الديات فكانت ثلاثة الآف بعير، فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له: أما الآن فنعم، فأقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات"[1].

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي: ٢٩٧/٢: ٢٩٨، دار مكتبة الحياة بيروت طبعة ١٩٨٩م.

الهدف من (الموعظة الحسنة):

يذكر الشيخ على محفوظ في هداية المرشدين مبيناً بإجمال أن الهدف من الموعظة الحسنة هو تحقيق السعادة في الحياة الدنيوية والأخروية، فيقول: الفوز بسعادة الدارين الدنيا والآخرة ذلك أن الوعظ والإرشاد هو العلاج الناجح لصلاح العالم، والدين الحنيف هو الدواء المفيد لشفاء القلوب من أمراضها، وبه صلاح المعاش والمعاد(١).

ويُعطى هذا الدواء المفيد بالموعظة الحسنة، وكما يقول صاحب فقه الدعوة: ووصفها بالحسنة يعنى مراعاة الأسلوب المناسب والوقت المناسب والأداة أو الوسيلة المناسبة لحال المخاطبين"(٢).

فلو أن الداعية في حفل زواج وطلب منه موعظة فينبغي أن يتحدث عن الزواج وأهميته في الإسلام واختيار الزوج والزوجة وكيف يحاول كلاهما تحقيق الغاية من هذه الآية الربانية.. ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الروم: ٢١)، أي لو تحدث في أمر آخر كالموت والطلاق فسينفر الناس منه ويشمأزون.

لأن الأسلوب الحسن يجذب القلوب، ويهدي النفوس، ويرقق المشاعر والأحاسيس، ويوصل للهدف المنشود، فالداعية في كل مجال من مجالات الدعوة والتبليغ في نطاق الكتابة والخطابة، والتحدث والنقاش في العمل الدعوي والثقافي،

(١) هداية المرشدين، الشيخ على محفوظ: ص٧٢.
(٢) فقه الدعوة والإعلام، د/ عمارة نجيب: ص٢٦ بدون.

والسياسي والطلابي بحاجة إلى الأسلوب الحسن الذي يصيب الهدف ويبلغ القصد(١).

وعرفان الداء وتوصيفه، وإعطاء العلاج المناسب بالقدر الملائم الذي يفيد السقيم هو الهدف المراد تحقيقه: بالموعظة الحسنة التي تدخل القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب في غير موجب ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو عن حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ (٢). وما أجمل هذا الهدف وما أسمى تلك الغاية.

الموعظة في القرآن الكريم:

انتهج القرآن الكريم أسلوب الموعظة، وخاطب النفوس بها وأورد ذكرها في كثير من آياته – والقرآن الكريم كله مواعظ حتى إن الله (ﷻ) قد تفضل على عباده بذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧)

ولا تزال الموعظة الحسنة أسلوباً من أساليب الدعوة قديماً وحديثاً. وأمر القرآن النبي (ﷺ) باستخدامها مع المعاندين فقال: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾ (النساء: ٦٣)

ومما هو جدير بالذكر أن الموعظة الحسنة في القرآن الكريم أخذت مظهر الحنو والعطف والإحساس بالقرب مع الخوف على الموعظ وإرادة الخير له، ولهذا كثر اقتران الموعظة بالمشاعر في القرآن الكريم وهي على ضروب متنوعة وأمثلة

(١) مشكلات الدعوة والداعية، أ/ فتحي يكن: ص١١٨.

(٢) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب: ٢٣٠٢/٤، الطبعة الثانية عشر.

عديدة، سأقتصر على الاستشهاد بها دون التعليق عليها، وسأضع عنوان جانبي لها لكثرة الأمثلة

١- الموعظة الحسنة من الوالد لابنه:

يتضح ذلك من خلال وعظ سيدنا لقمان، ووعظ سيدنا نوح، ووعظ سيدنا يعقوب عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

أ- موعظة سيدنا لقمان لابنه:

يرشده إلى منهج العلاقة بينه وبين الله، وبينه وبين الوالدين وبينه وبين الناس والكون، قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ (لقمان: ١٣-١٩).

ب- موعظة سيدنا نوح لابنه:

يأمره بالركوب في السفينة عند الطوفان لينجو من الغرق والهلاك ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ. وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ**

يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ.﴾ (هود: ٤٠-٤٣).

جـ- موعظة سيدنا يعقوب لابنه يوسف (عليه السلام):

يطلب منه عدم إخبار إخوته بالرؤيا حتى لا يكيدوا له **﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ. قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** (يوسف: ٤-٦).

٢- الموعظة من الابن لأبيه أو لأمه.

يتبين ذلك من خلال وعظ سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لأبيه، وسيدنا عيسى ابن مريم لأمه.

أ- موعظة الابن لأبيه:

دعوة للإيمان بالله وعدم الشرك به قال تعالى: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا. قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا. قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا. وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى**

أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا. فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم: ٤١-٤٩).

ب- موعظة الابن لأمه:

يخفف عنها الأحزان ويأمرها بالاعتماد على قدرة الرحمن مع الأخذ بالأسباب قال تعالى: **﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾** (مريم: ٢٢-٢٦).

٣- موعظة الأخ لأخيه أو لإخوته.. والأخوة لأخيهم.

أ- سيدنا يوسف يعرف أخاه بحقيقة أمره وينهاه عن الضيق والبؤس المحزن من تصرفات غير الأشقاء قال تعالى: **﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (يوسف: ٦٩).

ب- كبير الأخوة يعظ أشقاءه ويرشدهم إلى كيفية التخلص من العقبة التي لم تكن في الحسبان، قال تعالى: **﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ. وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾** (يوسف: ٨٠-٨٢).

جـ- الأخوة يذكرون أخاهم بنعم الله (ﷻ) ويعترفون بالخطأ في شأنه: **﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ**

فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩٠-٩١).

د- الأخ يذهب غضب أخيه ويستعطفه بأعظم صلة تجمع بينهما، صلة الأمومة، قال تعالى: **﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** (الأعراف: ١٥٠).

وفي موضع آخر **﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي.﴾** (طه: ٩٢-٩٤)

٤- موعظة الصاحب لصاحبه:

أ- الصاحب رفيق درب صاحبه في أشد الظروف قسوة ولا يتخلى كلاهما عن الآخر في النوائب والمصائب، قال تعالى: **﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (التوبة: ٤٠).

ب- الصاحب يحاور صاحبه ويناقشه لأجل الوصول للحق والهداية والإيمان والسعادة اليقينية، قال تعالى: **﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا. كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا. وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا. وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا. قَالَ**

لَـهُ صَـاحِبُهُ وَهُـوَ يُحَـاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّـذِي خَلَقَـكَ مِنْ تُـرَابٍ ثُـمَّ مِـنْ نُطْفَـةٍ ثُـمَّ سَـوَّاكَ رَجُلًا. لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّـي أَحَدًا. وَلَـوْلَا إِذْ دَخَلْـتَ جَنَّتَـكَ قُلْـتَ مَـا شَـاءَ اللَّهُ لَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـاللَّهِ إِنْ تَـرَنِ أَنَـا أَقَـلَّ مِنْـكَ مَـالًا وَوَلَـدًا. فَعَسَـى رَبِّـي أَنْ يُـؤْتِيَنِ خَيْـرًا مِـنْ جَنَّتِـكَ وَيُرْسِـلَ عَلَيْهَـا حُسْـبَانًا مِـنَ السَّـمَاءِ فَتُصْـبِحَ صَـعِيدًا زَلَقًـا. أَوْ يُصْـبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا. وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْـهِ عَلَـى مَـا أَنْفَـقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَـمْ تَكُنْ لَـهُ فِئَـةٌ يَنْصُرُونَـهُ مِـنْ دُونِ اللَّهِ وَمَـا كَـانَ مُنْتَصِرًا. هُنَالِـكَ الْوَلَايَـةُ لِلَّهِ الْحَـقِّ هُوَ خَيْـرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا.﴾ (الكهف: ٣٢: ٤٤).

ج- الأصـحاب وتكليـف الصـاحب الأريـب[١] بالمهمـة الخطيـرة مـع إمـداده بالمواعظ والإرشاد السليم لنجاتهم من خطر مرتقب، فتية أهل الكهف يختارون مبعوثاً للمدينة التي لا تقر بدينهم وطردوا منها، قال تعالى: ﴿**وَكَـذَلِكَ بَعَثْنَـاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَـةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَـأْتِكُمْ بِـرِزْقٍ مِنْـهُ وَلْيَتَلَطَّـفْ وَلَا يُشْـعِرَنَّ بِكُـمْ أَحَـدًا. إِنَّهُـمْ إِنْ يَظْهَـرُوا عَلَـيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا.**﴾ (الكهف: ١٩-٢٠).

هذا وأود الإشارة إلى أنه توجد أمثلة لا حصر لها عن أسلوب الموعظة الحسنة كما في وصاية سيدنا إبراهيم ويعقوب لأبنائهم بالإسلام، وموعظة الملائكة لمريم رضوان الله عليها أن تحافظ على صلتها بالله، ووعظ معظم الأنبياء والرسل

(١) الأريب: أرب الشيء أرباً: عقده و أحكمه.. و في الشيء و به: صار ماهراً بصيراً، فهو أرب و أريب، وأرُب أرابة و إرْباً: كان ذا دهاء وفطنة، فهو أريب. و الأرْب: الدهاء والفطنة، والبصير بالأمور. المعجم الوجيز: ص١١ بتصرف.

أقوامهم بدعوتهم للتوحيد والإصلاح الاجتماعي والسياسي.. إلخ، وموعظة النملة لبني جنسها، والمرأة الحصيف الرشيدة لمن تحكمهم.و الجن لمن لم يؤمن برسالة النبي (ﷺ)، وموعظة بني إسرائيل لمن اعتدوا في السبت. وموعظة الأم لبنتها، وموعظة مؤمن آل فرعون لكليم الله موسى (عليه السلام)... إلخ

فالمواعظ في القرآن الكريم كثيرة يضيق المقام عن سردها فضلاً عن شرحها، وهي في معظمها تدور حول هداية وتربية الإنسان عقائدياً وأخلاقياً وتعبدياً، وأكتفى بما ذكرته من أمثلة، وأنتقل إلى بيان الموعظة الحسنة في السنة النبوية من خلال شواهدها.

أسلوب الموعظة الحسنة في السنة النبوية:

لا تختلف السنة النبوية عن القرآن الكريم في دعوة الناس إلى صراط الله المستقيم باتباع أسلوب الموعظة الحسنة، وإن شئت فقل: كانت السنة النبوية مثالاً حقيقياً، وبرهاناً صادقاً على العمل بهذا الأسلوب، ولا أدل على ذلك من شدة عناية الرسول (ﷺ) بالموعظة وكما ورد في حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: كان النبي (ﷺ) يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا"، ونص الحديث كما في صحيح مسلم، " عَنْ شَقِيقٍ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ فَقَالَ مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا"[1]

ومن التأمل في قوله: في الأيام، يرشدنا إلى أنه كان أحياناً يترك أياماً بلا موعظة، فلو قال ابن مسعود: يتخولنا في اليوم لاختلف الأمر، ولفهم أن

(١) صحيح مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: الاقتصاد في الموعظة: ص٧٥١، مكتبة أولاد الشيخ.

النبي (ﷺ) كان يعاود موعظتهم وإرشادهم ونصحهم في اليوم الواحد أكثر من مرة. وإنما يفهم من قوله: في الأيام، أنه (ﷺ) كان يتخير، وينتقى الأيام لموعظتهم.

فالموعظة ليست مطلوبة لذاتها وإنما لما يحصل بها من تأثير على النفوس، وتغيير في السلوك واستقامته على الطريق الصحيح، كما أنها مخاطبة للنفس، ومناجاة للقلب، وحديث إلى العقل، وهذا كله لا يجدى إلا إذا نشطت النفس. وانشرح القلب، وتفتح العقل ولهذا كانت مواعظ النبي (ﷺ) تقع بالمحل الذي يريد في الوقت الذي يفيد.

وكان (ﷺ) يرى أثر موعظته على صحابته وهو لا يزال في مجلسه غالباً، فقد وعظ مرة وذكَّر حتى بكى الصحابة بكاءً مؤثراً وخشعت قلوبهم وجلاً لأن مواعظه (ﷺ) مؤثرة مبكية تنزع من النفوس القسوة والغفلة، وتضع مكانها الرحمة والتذكرة، فلا تجد تعبيراً عن ذلك التأثر إلا بدمع يذرف من العين وقشعريرة تعلو الجلد ورحمة تدخل القلب، وهذا ما ذكره الإمام النووي في شرح الأربعين النووية رواية الصحابي الجليل العرباض بن سارية قال: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.(١)

(١) شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لوارث العلم النبوي يحيي بن شرف الدين النووي، ص٦٧، الطبعة الثامنة، شركة ومطبعة الشمرلي.

أمثلة وشواهد من مواعظ النبي (ﷺ):

تزخر كتب السنة النبوية بالمواعظ التي وجهها النبي (ﷺ) لصحابته في شتى شئون الحياة كي تتعلم أمته منها. بما يضفي على الفكر الإسلامي ثروة علمية وتعليمية عظيمة وأذكر بعض الأمثلة على تلك المواعظ.

١ـ موعظته (ﷺ) بالعمل لأجل الحصول على لقمة العيش وعدم التسول.

فقد ورد عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) سْأَلُهُ فَقَالَ لَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: بَلَى حِلْسٌ[١] نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وقعب[٢] نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ. قَالَ: ائْتِنِي بِهِمَا قَالَ فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ قَالَ مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ فَفَعَلَ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَشَدَّ فِيهِ عُودًا بِيَدِهِ وَقَالَ اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فَجَعَلَ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَقَالَ اشْتَرِ بِبَعْضِهَا طَعَامًا وَبِبَعْضِهَا ثَوْبًا ثُمَّ قَالَ هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ وَالْمَسْأَلَةُ نُكْتَةٌ فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ» [٣].

---

(١) الحلس: كل ما على ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج، وما يبسط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع. المعجم الوجيز: ص١٦٧.

(٢) القعب: قدح ضخم عظيم، جمعه: قعاب، إناء كبير من الفخار أو المعدن يوضع به المشروب من ماء ولبن.. إلخ، المعجم الوجيز: ص٥٠٩.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: التجارات، باب: بيع المزايدة، حديث رقم ٢٢٨٢. للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني.

ويؤكد على هذا المعنى ما ورد في صحيح الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنْ النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»(١).

وقد أرشدنا حديثا رسول الله (ﷺ) السابقين بما فيهما من مواعظ ودروس إلى فوائد جليلة منها عدة نقاط ذكرها الشيخ يوسف القرضاوي قائلاً:

١- الأمر بالعمل والتكسب والتجارة ومحاولة كفاية الإنسان نفسه ومن يرعاه ويعوله.

٢- ذم التسول إلا لحاجة شديدة من فقر أو غرم أو حمالة.

٣- وجوب استثمار وتنمية المال واستغلاله في الكسب الحلال اتقاء للفقر والمسألة.

٤- محاولة إيجاد الحلول الصحيحة والعملية لحل مشكلة ومصيبة الفقر والبطالة.

٥- حرص النبي (ﷺ) على عدم إيذاء وجرح مشاعر أصحاب الحاجات أو إهانتهم أو إنقاص قدرهم.

٦- إدراك النبي (ﷺ) لعظم المسئولية وقيمتها ووضع الحلول المناسبة للقضايا العصرية والمستجدة.

٧- بيان النبي (ﷺ) لأهمية وقيمة المشروعات الصغيرة وتشجيعها وتأكيد أهميتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب الزكاة، باب: المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه، باب كراهية المسألة للناس: ص٢٦٤.

٨- استغلال النبي (ﷺ) للطاقة البشرية المعطلة فلم يكتف النبي (ﷺ) بمجرد النهي القولي عن المسألة والتسول وإنما وضع العلاج الدقيق للقضاء والتخلص من مرض البطالة والتواكل بأن أمر صاحب القضية بالتجارة وعدم الاستهانة بها طالما كانت جلالا رغم ضعف السلعة وقلة الثمن، وحبذا لو اتبعنا ثمن تلك الطريق النبوية الرشيدة، نقبل أو نُبدل ونعيد في محاربة التسول والبطالة والفقر بالكلام والمواعظ النظرية وحسب. نبدأ أولاً بحل المشاكل وتهيئة العمل لكل عاطل.

٨- مشروعية البيع بالمزاد العلني الذي يحقق نفعاً وكسباً والذي يزايد فيه المرء على بضاعة مباعة أو مشتراه بحدوده وضوابطه الشرعية.

٩- عدم اكتفاء النبي (ﷺ) بمجرد علاج المشكلة وسد حاجة السائل ولكنه استغل ذلك في تعليمه هو ومن خلفه من المحتاجين والمعوزين وسائر الأمة بعدهم إلى يوم الدين فطفق (ﷺ) يعظ وينصح وهنا تقع الموعظة بالمحل الذي أراد، وتؤثر في جمهور المدعوين التأثير الذي يتمناه ويرجوه، ويرغب في تحقيقه(١).

٢- **الموعظة الحسنة بالتوبة والحرص على العمل الصالح**، يدل على ذلك خطبته وموعظته التي ذكرها سيدنا جابر بن عبد الله قال: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا فِي يَوْمِي هَذَا فِي شَهْرِي هَذَا مِنْ عَامِي هَذَا إِلَى يَوْمِ

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام للشيخ يوسف القرضاوي: ص٥٢، بتصرف طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الْقِيَامَةِ فَمَنْ تَرَكَهَا فِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدِي وَلَهُ إِمَامٌ عَادِلٌ أَوْ جَائِرٌ اسْتِخْفَافًا بِهَا أَوْ جُحُودًا لَهَا فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ أَلَا وَلَا صَلَاةَ لَهُ وَلَا زَكَاةَ لَهُ وَلَا حَجَّ لَهُ وَلَا صَوْمَ لَهُ وَلَا بِرَّ لَهُ حَتَّى يَتُوبَ فَمَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَلَا لَا تَؤُمَّنَّ امْرَأَةٌ رَجُلًا وَلَا يَؤُمَّ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا وَلَا يَؤُمَّ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ بِسُلْطَانٍ يَخَافُ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ»[1].

يلاحظ أن النبي (ﷺ) في هذه الخطبة وتلك الموعظة بعد أن هيأ النفوس لسماع الخير بهذه المواعظ الطيبة شرع يوضح بعض الأحكام العملية والأوامر التشريعية التعبدية في الصلاة، وخاصة الجمعة، ومسألة الإمامة ويعلمهم من الدين ما أوحى إليه.

والموعظة في كلماتها وعباراتها دليل قاطع على عظمة أسلوب النبي (ﷺ) في الحديث والخطبة وبرهان دامغ على أن النبي (ﷺ) أوتي جوامع الكلم، وما ينطق عن الهوى، كما أن فيها درس للمربين والدعاة أن يمهدوا نفوس مدعوّيهم أولاً لاستقبال التعاليم والأحكام، وأن لا يهجموا على الناس هجوماً فإن ذلك أدعى لنفورهم. وحقاً ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ (الأحزاب: ٢١).

٣- **مواعظه (ﷺ) قبس من أدب النبوة العالي**، للحث على مكارم الأخلاق، ومحاسن السلوك، ينوه إلى هذا المعنى أ.د/ حسن عبد الحميد قائلاً:

لقد كانت مجالس وعظه (ﷺ) ميداناً لتربية النفوس، وتهذيبها، وتعويدها على مكارم الآداب، فها هو رجل يتخطى الجالسين في الحلقة ليجلس في الصف الأول ورسولنا (ﷺ) يراقبه ثم يرشده إلى أدب المجالس قائلاً له: اجلس حيث ينتهى بك المجلس.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: فرض الجمعة: ٣٤٣/١، حديث رقم (١٠٨١).

ومن أدبه (ﷺ) في وعظه وهو أدب النبوة العالي: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» أنه (ﷺ) كان لا يذكر اسم رجل قد أخل بأدب أو سمع عنه سوء في حضرة الجالسين مكتفياً بالإشارة إلى السلوك فقط: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا.

ولقد بلغ الأدب النبوي أعلى درجاته في هذا المشهد الذي يجب على الداعية إلى الله تعالى أن يقف عنده طويلاً يتأمله، ليرشده، ويستوعب منه دروساً وعبراً في أسلوبه مع المدعوين. فهذا رجل يجلس في جلسة الرسول (ﷺ) والقوم معه يستمعون إلى رسولهم بإنصات لا يعكر صفو الجلسة شيء وإذا بريح لها رائحة كريهة تخرج منه لتزكم أنوف الجالسين وتؤذيهم لكن أدب النبوة يأبى أن ينتهى المجلس بسبب ما حدث أو أن يفضح الرجل بين الجالسين ولم يزد على قوله: من أكل لحم جزور فليتوضأ. وكان (ﷺ) يعلم أن كل الحاضرين وهو معهم قد أكلوا لحم الجذور.

ومن ثم كانت مواعظه (ﷺ) من الوسائل التي آتت ثمارها في تبليغ الدعوة، ودخول كثير من الناس في الإسلام عندما يستمعون إليه ويشاهدون عن كثب أدبه وخلقه وأسلوبه مع المدعوين فيؤمنون بدعوته عن طواعية وقد أسرتهم مواعظه، واستولت على مشاعرهم آدابه العالية وأخلاقه العظيمة»[1].

ويتبين ويتضح لكل ذي عقل، وكل امرئ وقور، وكل إنسان خلوق أن النبي (ﷺ) كانت دعوته ضياءاً ينير للعالمين الظُلَم، ويرشد الحائرين، والضالين إلى صراط الله المستقيم، وأنها إتمام لمكارم ومحاسن الأخلاق وأن النبي (ﷺ) يصدق

(١) الخطابة الدينية علم وفن وسلوك، تأليف د/ حسن عبد الحميد حسن: ص١٦١، بتصرف، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر، دار الوفاء للطباعة، مرجع سابق.

فيه قول الحق جل شأنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم: ٤) وأكتفى بهذا القدر من الحديث عن أسلوب الموعظة وإلى بيان أسلوب الجدال بالتي هي أحسن.

أسلوب الجدل بالتي هي أحسن:

المجادلة بالتي هي أحسن هي الأسلوب الثالث من الأساليب العامة للدعوة الإسلامية وخاصة مع المخالفين وأهمهم أهل الكتاب. فلا مراوغة ولا تحايل ولا استهزاء برأيهم ولا تقبيح لفكرهم، وقد أمر القرآن الكريم باستخدام هذا الأسلوب في الدعوة في أكثر من آية وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (العنكبوت: ٤٦)

أما عن أسلوب الجدال معهم فهو من خلال تتبع آيات القرآن الكريم التي يأتي فيها ذكر أهل الكتاب خاصة بعد النداء ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران: ٦٤).

وكذا الآيات التي لم تبدأ بقل ولكن فيها نداء لأهل الكتاب ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ (آل عمران: ٦٥)

وأحياناً قد يكون الجدال مع غير المخالفين للدعوة لأجل شيء ما وهذا ما حدث مع امرأة الصحابي التي ظاهر منها زوجها وجعلها كأمه امرأة سيدنا ثابت بن قيس السيدة خولة والتي من أجل مراجعتها للنبي (ﷺ) في الكلام وجدالها معه أنزل الله (ﷻ) سورة سميت بالمجادلة وأوضحت فيها الحكم التشريعي للظهار ﴿**قَدْ**

سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١)

تعريف الجدل:

أصل مادة المجادلة: المناظرة والمخاصمة والمراد به الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لإظهار الحق: ﴿**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾ (الكهف: ٥٦).

والجدل في اللغة: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها وهو شدة الخصومة وما أوتي الجدل قوماً إلا ضلوا.

يقال في اللغة: جادله مجادلة وجدالاً: ناقشه وخاصمه، والجدل مقابلة الحجة بالحجة، و المجادلة المناظرة والمخاصمة(١).

والجدل في الاصطلاح: مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها(٢)

وقيل: هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة ومقابلة الأدلة لظهور أرجحها»(٣).

والدعاة إلى الله تعالى قصدهم الوصول إلى الحق وليس المقصد الشهرة أو الغلبة أو حب السمعة إلى غير ذلك، لكن الهدف الذي يبغيه الداعية إقناع الناس بالحجة والبرهان حتى يفهم الخصم حقيقة الدعوة وكيفية المحافظة على ذاته وفكره بمبادئها وأصولها فيعلم أن منهج الدعوة هو الدعوة بالتي هي أحسن، وهذه مسلَّمة وحقيقة أقرها أهل العلم فقد أشاروا إلى حقيقة الدعوة مع المخالف عن طريق المجادلة بالتي هي أحسن كما يقول صاحب الظلال:

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٠٥/٨ طبعة دار المعارف والمعجم الوجيز ص٩٦.
(٢) التعريفات للجرجاني ص٦٦، طبعة دار الكتب العلمية.
(٣) المصباح المنير: ص١٢٨، والكليات لأبي البقاء: ص١٤٥ بتصرف.

وبالجدل بالتي هي أحسن. بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها. في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر!(١).

وهذا هو الجدال المحمود مما يعنى أن هناك جدالاً مذموماً أو جدالاً لا ثمرة فيه والجدال المحمود هو الذي يهدف إلى الوصول إلى الحق في تجرد بأسلوب صحيح مناسب، ويؤدى إلى خير، ويمكن أن يعبر عنه بالمناقشة والمناظرة والحوار. والقرآن والسنة النبوية وتاريخ السلف الصالح والعلماء الأجلاء الأفذاذ ممتلئ بالأمثلة والشواهد. كحوار إبراهيم (عليه السلام) للذي آتاه الله الملك، ومناظرة النبي (ﷺ) لوفد نصارى نجران ومناقشته لحاتم الطائي قبل الإسلام. وحوار سيدنا جعفر بن عبد المطلب مع النجاشي، والإمام على مع الخوارج وأبو حنيفة النعمان مع الملاحدة. ورحمت الله الهندي مع القسيس فندر، والشيخ أحمد ديدات مع القس سواجارت، والأستاذ إبراهيم خليل أحمد مع كثير من النصارى.. والأمثلة لا حصر لها.

(١) في ظلال القرآن: ٢٢٠٢/٥ الطبعة الثانية عشر،دار الشروق.

وهذا الأسلوب – الجدال بالتي هي أحسن – يوائم غالباً المعاند الجاحد الذي لا يعترف بالحق، فهذا يُجادل بالتي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وحسن الخطاب من غير عنف فإن ذلك أبلغ في تسكين لهيبه كما قال الله تعالى لسيدنا موسى وهارون (عليهما السلام) حينما أرسلهما إلى فرعون وملائه.. ﴿**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**﴾ (طه: ٤٤)

والإنصاف واتباع الحق، والرفق والمداراة على، وبه يظهر منه أن القصد إثبات الحق وإزهاق الباطل وأمر لا غرض للداعي سواه. فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإتقان.

وإذا كانت الدعوة بغير هذا الأسلوب بالتي هي أحسن، فإن النتيجة تكون عكسية تضر بالدعوة الإسلامية، والأمة المحمدية، وتعطى الفرصة لأعداء الإسلام أن يكيدوا له كيداً من الداخل والخارج.

لذا نجد تفرقة في التعبير بين المطلوب في الموعظة، والمطلوب في الجدال، ففي الموعظة اكتفى بأن تكون حسنة أما في الجدال فلم يرض إلا أن يكون بالتي هي أحسن، ولعل السر في ذلك أن الموعظة ترجع عادة إلى الموافقين الملتزمين والمقتنعين بالفكرة فهم لا يحتاجون إلا إلى موعظة تذكرهم، وترقق قلوبهم، وتجلو صدأها وتقوى عزائمهم[١] على حين يوجَّه الجدال عادة إلى المخالفين الذين قد يدفع الخلاف معهم إلى شيء من القسوة في التعبير، أو الخشونة في التعامل، أو العنف في الحديث والكلام وربما يصل إلى القتال والتشابك.

---

(١) العزائم: جمع عزيمة، وهي ما عزمت عليه مأخوذة من عزم فلان عزماً وعزيمة: جدَّ وعلى فلان أمره وشدد عليه والأمر وعليه أراد فعله وعقد عليه نيته، والعزم: إرادة الشيء وعقد النية عليه والصبر والجد، وفي القرآن {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل} الأحقاف: ٣٥، المعجم الوجيز: ص٤١٧.

فكان من الحكمة أن يطلب القرآن الكريم اتخاذ أحسن الطرائق وأمثلها للجدال أو الحوار أو المناظرة أو المناقشة حتى يؤتى أكله، ومن هذه الطرائق والأساليب:

١- اختيار أرق التعبيرات وألطفها في مخاطبة الطرف الآخر.

٢- التركيز على نقاط الالتقاء ومواضع الاتفاق.

٣- سوق الأدلة الدامغة بترتيب محكم دون إسفاف أو تجريح أو استهزاء.

٤- التنويه إلى ما عند الخصم إلى أشياء طيبة وأدلة مسلم بها.

وهذا قيد مهم لأخلاق الداعية الذي يريد أن يخرج من إطار المنهج فسيضر حتى ينفد صبره فيفسد منهجه[١] ولذلك يجب أن يكون الجدال في مجال الدعوة على وجه أخص بالتي هي أحسن ولسوق الأمثلة على الأسلوب الأول اختيار أرق التعبيرات وألطفها وكذا الطريقة الثانية في الجدل بالتي هي أحسن، التركيز على نقاط الالتقاء ومواضع الاتفاق إليك البيان:

(١) الدعوة في عهدها المكي، د/ رؤوف شلبي: ص٢٥٠.

١ـ الأسلوب الأول: اختيار الألفاظ الحسنة والطيبة:

بالتأمل في آيات القرآن الكريم يرشدنا إلى أنه في مخاطبة اليهود والنصارى استعمل تعبيراً له دلالته وإيحاؤه، في التقريب بينهم وبين المسلمين وهو لفظ (أهل الكتاب) (الذين أوتوا الكتاب) ومن هذا مثلاً قوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**﴾ (النساء: ١٧١)، ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ (المائدة: ١٥)

أيضاً المشركون الوثنيون لم يخاطبهم القرآن بقوله (يا أيها المشركون) بل كان يناديهم بقوله: ﴿**يا أيها الناس**﴾ إلا سورة واحدة وهي السورة التي وضعت حداً فاصلاً بين دين الكفار والدين الإسلامي ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾

ولم يرد في القرآن خطاب للمشركين بعنوان الشرك أو الكفر والمناسبة الخاصة في سورة الكافرون مردها قطع الأمل عندهم أن يتنازل المسلم عن أساس عقيدته وهو التوحيد، ولهذا كرر فيها المعنى الوارد بصيغ عدة تأكيداً وتثبيتاً، ومع هذا ختمها بهذه الآية الكريمة التي تعد غاية في السماحة ﴿**لكم دينكم ولي دين**﴾ (الكافرون: ٦) ومثلها قوله تعالى: ﴿**وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (يونس: ٤١).

وإنما اصطدم الإسلام بالشرك، واقتتل الرسول (ﷺ) والمشركون لأنهم لم يقابلوه بمثل منطقه، بل قالوا لنا ديننا وليس لك دينك، ولنا عملنا وليس لك عملك، ومن حقنا أن نعبد الأوثان والأصنام، والتماثيل وندعوا إليها، وليس من حقك أن

تعبد الله وتدعو إليه، ومن اتبعك على دينك بإرادته واختياره كان علينا أن نفتنه عن دينه(١).

ومن عظمة القرآن الكريم أنه يخبر الكفار بعد سؤالهم عمن هو الرازق الخالق وإثبات أنه الله (ﷻ) يفترض معهم على سبيل المثال الاختيار.. ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ (سبأ: ٢٤).

٢ـ الأسلوب الثاني: التركيز على نقاط الالتقاء ومواضع الاتفاق أثناء المناقشة والحوار والجدل والمناظرة.

أيضاً هذا أسلوب قرآني يجب التعرف عليه، فهو يقول في حوار أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (العنكبوت: ٤٦)

و مثل قوله في سورة أخرى ﴿**قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ**﴾ (البقرة: ١٣٩).

فإذا كان هذا هو موقف المسلم ممن يجادله من أهل الكتاب الذين يخالفونه في عقيدته وأصل دينه، ولا يؤمنون بأن محمداً رسول الله (ﷺ)، ولا بأن القرآن كتاب الله، ولا بأن الإسلام دين الله وشريعته؟

فكيف ينبغي أن يكون موقفه من أخيه المسلم الذي يؤمن بكل ما يؤمن به من عقيدة وشريعة ورسول وكتاب، فهل يؤدى الاختلاف البسيط في تشريعات فقهية ومذهبية إلى التطاحن والحرب والسباب والقتال والتكفير، والبعض يتصيد لمن يخالفه المزالق والمساوئ والنقائص ويصل الأمر إلى الاتهام والتشنيع في

(١) الصحوة الإسلامية، للشيخ يوسف القرضاوي: ص٢٤٧، طبعة دار الوفاء

الأعراض وأصل الدين، والحل الأمثل لمثل هذه الاختلافات كما يقول أحمد بن عبد الرحمن الصويان:

أنادي الجميع لطرح الخلافات الوهمية، ونسيان الأهواء الشخصية، والصراعات الحزبية، أما الاختلافات العلمية فتعالج بطريقة شرعية من أهل العلم والاختصاص بعيداً عن المهاترات، والاتهامات، ويكون معيار الحق كما قال الله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**﴾ (النساء: ٥٩)

وإن استعراض مسائل الخلاف ثم دراسة أسبابها العملية وجذورها النفسية ليس مطلباً ثقافياً أو ترفاً معرفياً، بل هو مطلب شرعي لازم لا قوام للأمة إلا به، ومن المعلوم أننا لن نتفق على كل المسائل، ولكن بعد الدراسة والتمحيص يجب أن نتفق على مسائل الأصول التي لا يعذر فيها المخالف، وأما مسائل الاجتهاد والفروع والظنيات فيجب أن تتسع لها الصدور.

وما أجمل ما قاله يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي (رضي الله عنه) ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا، ولقينا فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة» [1]، وهكذا كان دأب العلماء من سلفنا الصالح لا تحزب ولا انتماء لجماعة أو طائفة وحصر الفتيا في فرقة وفئة معينة لا تقر بصحة آراء الغير

(١) في البناء الدعوى، المجموعة الأولى، تأليف أحمد بن عبد الرحمن الصويان، كتاب المنتدى الإسلامي: ص١٠١، بتصرف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

أمثلة وشواهد لأسلوب الجدل بالتي هي أحسن:

١ـ شاهد من القرآن على عدم استثارة دوافع الخصومة:

يسوق القرآن الكريم في هذا المجال يعلم النبي (ﷺ) والدعاة من بعده آيات تبرز كيفية هذا الأسلوب، وإليك هذا النموذج الرائع من نماذج حوار القرآن مع المخالفين، وكيف يتنزل معهم في الكلام، ويرخي لهم العنان ليستميلهم إليه، ويقربهم إلى ساحته، ولا يستثير دوافع الخصومة، وحب الجدال في نفوسهم؛ بل يحاول بأسلوبه الرفيق الحكيم تهدئتها. وتقليم أظافرها، يقول تعالى في سورة سبأ مخاطباً المشركين ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**﴾ (سبأ: ٢٤-٢٦).

يقول الإمام الرازي في تفسيره:

فهذا إرشاد من الله لرسوله إلى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها، وذلك لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر هذا الذي تقوله خطأ وأنت فيه مخطئ يغضبه وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطئ والتمادي في الباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق فنجتهد ونتبصر أينا على الخطأ ليحترز

فإن ذلك الخصم يجتهد في النظر ويترك التعصب وذلك لا يوجب نقصاً في المنزلة لأنه أوهم بأنه في قوله شاك ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ مع أنه لا يشك في أنه هو الهادي وهو المهتدي وهم الضالون والمضلون.

ثم قال تعالى: ﴿**قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ أضاف الإجرام إلى النفس وقال في حقهم ﴿**وَلاَ نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ ذكر بلفظ العمل لئلا

يحصل الإغضاب المانع من الفهم وقوله ﴿**لاَّ تُسْئَلُونَ**﴾ ﴿**وَلاَ نُسْئَلُ**﴾ زيادة حث على النظر وذلك لأن كل أحد إذا كان مؤاخذاً بجرمه فإذا احترز نجا ولو كان البريء يؤاخذ بالجرم لما كفى النظر.

ثم قال تعالى: ﴿**قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**﴾ أكد ما يوجب النظر والتفكر فإن مجرد الخطأ والضلال واجب الاجتناب فكيف إذا كان يوم عرض وحساب وثواب وعذاب(١).

إن الكلمة العنيفة تجرح المشاعر، وتشرخ القلوب، و تغير مودتها، ولا ثمرة تجتنى من ورائها، ولا ضرورة تدعو الدعاة والعاملين للإسلام إلى اتخاذ العبارات التي من شأنها أن تنفر ولا تبشر، وأن تفرق ولا تجمع، كيف والتوجيهات النبوية من الرسول (ﷺ) تأمر بالتبشير وتنهى عن التنفير. فقد جاء عن أنس وأبي موسى الأشعري، وأبي بردة: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا» عن أبي بردة عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُمَا بَشِّرَا وَيَسِّرَا وَعَلِّمَا وَلَا تُنَفِّرَا وَأُرَاهُ قَالَ وَتَطَاوَعَا». وقال (ﷺ) « يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا»(٢).

وقيل سابقاً إن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم،و بالموعظة قوم، وبالمجادلة قوم، وعلة ذلك أن الحكمة إن غذي بها أهل الموعظة أضرت بهم، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير، والمجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمي، وإن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن

---

(١) التفسير الكبير: مفاتيح الغيب للإمام الرازي: ٢٢٧/٢٧، طبعة دار الكتب العلمية، بتصرف.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير: ص٤٧٩.

غذي البدوي بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر أو الحضري بالتمر وهو لم يألف إلا البر [القمح].

ولا بأس أن يجمع الداعية في موقف واحد الأساليب الثلاثة الحكمة مع الموعظة الحسنة، ويؤكد بالجدال بالتي هي أحسن إذا استدعى الموقف مع المدعو ذلك.

ولهذا كان من الحكمة في أسلوب دعوة الناس إلى الإسلام، ولفتهم إليه مخاطبتهم من حيث يستجيبون، وبالأسلوب الذي به ينفعلون.

فالناس يتباينون في كل شيء يتباينون في ذكائهم وعلمهم، كما يتباينون في أمزجتهم ومشاعرهم، ثم إنهم يختلفون في أفكارهم، وتصوراتهم، كما يختلفون في ميولهم واتجاهاتهم، كل هذا مما يفرض على الدعوة وعلى الداعية تخير المدخل الأكثر مناسبة والأسلوب الأكثر مواءمة لعقولهم والأدعى إلى استجابتهم، فمثلاً عند دعوة الأغنياء لا يمد عينيه إلى ما عندهم من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وأن يزهد فيما في أيديهم، ولا يُشم منه مجرد التطلع إلى شيء إلا إرادة الهداية لهم.

فزهد الداعية إلى الله تعالى فيما في أيدي الأغنياء يجعل الدنيا تتضاءل في أعينهم، وتصبوا نفوسهم إلى ما هو أشرف، وتتطلع إلى ما هو أسمى من الدنيا وزينتها من المثل والقيم والمعاني الإيمانية التي تملأ القلب غنى وسروراً وتكسوه حلل الكرامة والعزة دنيا وأخرى، ولذا أرشد الله (ﷻ) نبيه (ﷺ) إلى هذا فقال: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ (طه: ١٣١).

والمثال الأول المذكور هنا هو بيان لكيفية الأسلوب المراد به الجدل بالتي هي أحسن، أما الأمثلة التطبيقية والعملية والشواهد على هذا الأسلوب فسأذكرها دون التعليق والاقتصار فقط على العنوان الجانبي.

٢- **حواروم‌ناظرة سيدنا إبراهيم مع من آتاه الله الملك**، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة: ٢٥٨).

وبالتأمل في الحوار يرشدنا إلى استخدام البرهان الكوني للألوهية

٣- **جدال سيدنا نوح** (عليه السلام) **مع الملأ من قومه**: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ. فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ. وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ. وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ. وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.**﴾ (هود: ٢٥-٣٤).

٤ـ سيدنا موسى (عليه السلام) مع فرعون: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ.**﴾ (الشعراء: ١٦-٣٠).

ويصل الموقف في النهاية إلى إيمان السحرة الذين استقدمهم فرعون وجنوده من كافة أنحاء البلاد وأيضاً يجادلهم في ذاك الإيمان إلى أن يهددهم بالقتل وتقطيع الأيدي والأرجل للجميع فيجيبه المؤمنون: ﴿**قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ. إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ.**﴾ (الشعراء: ٥٠-٥١).

و تعددت صور الحوار في آيات كثيرة من القرآن، ومثال واحد منه فيه من التأمل والتبصر ما يدل على أهمية الجدل بالتي هي أحسن.

٥ـ حوار وجدال النبي (ﷺ) بالتي هي أحسن:

أ- مع سيد من سادات قريش تكون ثمرة هذا الجدل إسلامه:

ب- مع شاب من أتباعه (ﷺ) يرغب في ارتكاب فاحشة الزنا.

المثـال الأول: ما فعله النبي (ﷺ) مع الحصين بن عبيد والد سيدنا عمران (رضي الله عنهما). كان الحصين رجلاً حصيفاً[1] عاقلاً فجادله النبي (ﷺ) حتى يحقق عنده القناعة العقلية ويعتنق الإسلام، فعن عمران بن حصين أن قريشاً جاءت إلى الحصين، وكانت تعظمه، فقالوا له: كلِّم لنا هذا الرجل فإنَّه يذكر آلهتنا ويسبُّهم، فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي (ﷺ) فقال: "أوسعوا للشيخ – وعمران وأصحابه متوافرون – فقال حُصين: ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة وخيراً؟ فقال: "يا حُصَين، إنَّ أبي وأباك في النار؛ يا حصين، كم تعبد من إله"؟ قال: سبعاً في الأرض وواحداً في السماء، قال: "فإذا أصابك الضرّ من تدعو؟" قال: الذي في السماء، قال: "فيستجيب لك وحده وتشركهم معه، أَرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟" قال: ولا واحدة من هاتين؛ قال: وعلمت أنِّي لم أكلم مثله، قال: "يا حُصَين، أسلم تسلم"، قال: إنَّ لي قوماً وعشيرةً فماذا أقول؟ قال: "قل: اللَّهمَّ، أستهديك لأرشد أمري وزدني علماً ينفعني" فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم. فقام إليه عِمْران فقبَّل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النبي (ﷺ) بكى، وقال: "بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته، فلمَّا أسلم قضَى حقَّه فدخلني من ذلك الرِّقَّة". فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: "قوموا فشيِّعوه إلى منزله"، فلما خرج من سُدَّة الباب رأته قريش فقالوا: صبأ وتفرقوا عنه[2].

---

(١) حصيفاً: حصف الشيء حصافة كان محكماً لا خلل فيه، ويقال: حصف فلان: استحكم عقله، وجاء رأيه فهو حصيف. المعجم الوجيز: ص١٥٥.

(٢) حياة الصحابة للكاندهلوي: ٦٨/١، طبعة دار الريان، مصر ١٤٠٨هـ.

لقد استشرف النبي (ﷺ) في سيدنا الحصين قبل إسلامه سلامة الفطرة، وحسن الاستعداد، ورجاحة العقل فحاجه بالمنطق، وناظره بالدليل حتى أسلم (رضي الله عنه).

المثال الثاني: شاب من خيرة الشباب تدفعه الشهوة الجامحة لارتكاب أعظم فاحشة ولكنه خشية ارتكاب الإثم والذنب العظيم يريد الحصول على إذن من النبي (ﷺ) بممارسة الزنا، فيجادله النبي (ﷺ) ويحاوره بأسلوب رقيق حتى يبعده بتاتاً من مجرد التفكير في الزنا.

جاء عن أمامة الباهلي (رضي الله عنه): إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[1].

لقد أتى هذا الشاب إلى رسول الله (ﷺ) والشهوة تشتعل ناراً في نفسه، ولكن هذه النار تضعفها بقية من إيمان، فجاء بفطرته يستسمح رسول الله (ﷺ) في أن يأذن له بالزنا، فقد عجزت حيلته عن الصبر، وحينئذٍ استخدم الرسول (ﷺ) معه أسلوباً علاجياً حكيماً فجعله يقرر بنفسه مدى خطورة الزنا على الفرد والجماعة،،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢٥٦/٥، حديث رقم ٢٢٢٦٥.

وأن هذا مما لا يقبله الإنسان على نفسه، وينبغي أن يترك الإنسان أذى الآخرين ما دام لا يريد أن يؤذيه الآخرون، وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة النفس(١).

ويتأمل أستاذنا وشيخنا أ.د/ محمود عمارة هذا الموقف الذي قد لا يصدقه عاقل، ويتورع عن الحديث في مثله إنسان فاضل بذوقه وفكره الأدبي الدعوي، ويعلق قائلاً:

عندما استأذن شاب رسول الله (ﷺ) في الزنا، لم يستطع الصحابة رضوان الله عليهم صبراً على هذه القنبلة التي فجرها الفتى المندفع، وإن كادوا ليفتكون بالفتى المنساق بالغريزة الغلابة.

ومن خلال هذه السحب الداكنة استوعب (ﷺ) الموقف كله بحكمته في محاولة للاستعلاء بالفتى، وكسر شوكة الغريزة في كيانه.

لقد كان من الممكن أن يرتكب هذا الفتى جريمته في الخفاء، وبلا استئذان يفضحه بين قومه، ولكنه لم يفعل، وتقدم بمنتهى السذاجة يستأذن استئذاناً لا يساويه في قبحه إلا الجريمة نفسها.

ومع هذا فإن تلك السذاجة(٢) لتخفى من ورائها بقية من الخير حيث لم تطاوعه نفسه حتى يستأذن، ويجب الإمساك بهذه البقية الباقية من الخير، بدل القضاء عليها الانفعال مهما كانت النوايا صادقة.

وعندما واجهه الرسول (ﷺ) بالسؤال: أتحبه لأمك؟ أتحبه لأختك؟ أتحبه لابنتك؟... إلخ، انتفض الفتى صاحياً على دقات السؤال المحرج اللاذع في نفس

---

(١) السنة قبل التدوين، أ.د/ محمد عجاج الخطيب: ص٥٠، طبعة مكتبة وهبة، الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢) حجة ساذجة: غير بالغة، تصرف بلا وعي، المعجم الوجيز ص٣٠٧.

الوقت، وكانت الانتفاضة طهارته من كل نوازع السوء، وغادر المسجد وليس في قلبه شيء أبغض من الزنا [1].

وما أعظم رحمة النبي (ﷺ) ورأفته، ومنهجه القيم الذي لا يضاهيه منهج في معالجة أمراض النفوس، والأخذ بأيدي الناس من طريق الظلام إلى طريق النور، ومع ذلك لم يدع الشاب هكذا وإنما ختم حواره معه بعد إقناعه بالدعاء له، وهكذا وبهذا الأسلوب الحواري انتقل الرسول (ﷺ) بهذا الشاب إلى يقين تام بخطر الزنا، وأثار فيه دافع الغيرة الكامنة في النفس المسلمة على الأم والأخت والبنت والعمة والخالة وأهل بيته وأقربائه، كي ينظر إلى هاتيك النسوة اللاتي يريد معها ارتكاب تلك الموبقة نظرته إلى هذه القرابة الحميمة فهن أيضاً عمات، وخالات، وأمهات، وبنات، وأخوات لغيره من الناس ممن لا يقبلون أن يصنع بأقربهم مثله تماماً.

(٦) حوار وجدال عالم مع من يطلب منه إصلاح النفس:

قريباً من موقف الشاب السابق مع النبي (ﷺ) وأصحابه بشأن الاستئذان في ارتكاب فاحشة الزنا موقف الرجل الذي ذهب إلى سيدنا إبراهيم بن أدهم يطلب منه أن يعصي الله وذلك لأنه مسرف على نفسه. يقول محمد أمين الجندي: ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم، وقد كان من أطباء القلوب. وقال له: إني مسرف على نفسي وأريد أن أعصي الله فأعرض على ما يكون زاجراً لها. فقال له إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة. فقال الرجل وكان متشوقاً لسماع الخصال: هات ما عندك يا إبراهيم. فقال: الأولى: إذا أردت أن تعصى الله تعالى فلا تأكل شيئاً من رزقه، فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم

(١) العفو أو الفضيلة الغائبة، أ.د/ محمود محمد عمارة، ص١١، ١٢ بتصرف، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

والأرزاق كلها من عند الله؟ فقال: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه، قال لا، يا إبراهيم هات الثانية.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق، ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك الله، فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه، قال: لا، يا إبراهيم هات الثالثة.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعص الله فانظر مكاناً لا يراك الله فيه فاعصه فيه، قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر، ﴿**يعلم السر وأخفى**﴾ (طه: ٧) ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه، قال: لا يا إبراهيم. هات الرابعة.

فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني إلى أجل معدود، فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿**إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ (يونس: ٤٩)، فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة؟ قال: نعم. هات الخامسة

فقال: إذا جاءك الزبانية وهم ملائكة جهنم ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم. فقال له: كيف ذلك يا إبراهيم وهم ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (التحريم: ٦).

وما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكياً: كفى يا إبراهيم أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزم العبادة حتى فارق الحياة [١].

---

(١) مائة قصة وقصة في أنيس الصالحين وسمير المتقين، محمد أمين الجندي: ص٣٧، ٣٨، بتصرف، مكتبة أم القرى.

من خلال ذلك كله يتبين أن أسلوب الجدل بالتي هي أحسن يثري المعارف والعلوم، وله دوره في تقوية الحجة والمران على حسن التعبير، وجودة الأداء وتحقيق الثقة بالنفس، والتأكيد على الجرأة والشجاعة، فضلاً عما فيه من تحقيق القناعة العقلية والراحة النفسية واحترام لعقول المدعوين وفكرهم.

ولكي يطامن الداعية من حساسيته واندفاعه كان هذا القيد في الجدل: (بالتي هي أحسن) ثم كان ختام الآية في معرض الدعوة إلى الله تعالى بأساليبها الثلاث التي سبق توضيحها: الحكمة، الموعظة الحسنة، الجدال بالتي هي أحسن، كان ختام الآية ﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ فلا ضرورة إذن للجاجة في الجدل، فإنما عليك البلاغ والأمر بعد ذلك لله رب العالمين.

وهناك الكثير من الأساليب التي تخدم الدعوة لكن اكتفيت بما نص عليه القرآن الكريم (الحكمة، الموعظة الحسنة، الجدال بالتي هي أحسن) استمداداً من قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (النحل: ١٢٥).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة التأملية الإرشادية في أهم أساليب الدعوة الإسلامية: ١- الحكمة. ٢- الموعظة الحسنة. ٣- الجدال بالتي هي أحسن، تم التعرف فيها على مدلول ألفاظ العنوان، واستنتج من فحواه أن التأمل يكون إعمال الفكر مع كافة الحواس: النظر السمع، الذوق والحس لأجل الوصول إلى غاية معينة ومحددة كما اتضح من خلالها أهمية الدعوة وشرفها وأهمية الأساليب وتنوعها مع أصناف الناس حسب أحوالهم، وثقافاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وقطعنا شوطاً لا بأس به في رحلة الحكمة وأهميتها والأمثلة عليها من خلال النصوص والمؤلفات، وخاصة بعض الشواهد عليها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وقصص السابقين، ثم كان الشوط التالي مع الموعظة الحسنة، وبيان فائدتها ومدى اهتمام القرآن الكريم بها، وسوق الأمثلة عليها، وأيضاً مدى اهتمام السنة النبوية بالموعظة، والشواهد من خلال النصوص المعتمدة، وتم التعريف على موعظة الأب لابنه، والابن لوالده، والأخ لأخيه والصاحب لصديقه، والابن لأمه والأخوة لأخيهم... إلخ.

وفي نهاية الرحلة التأملية الإرشادية كان الاهتمام بأسلوب الجدال بالتي هي أحسن ومع من يكون هذا الجدال وفائدته ومتى يتوقف الجدال، وتم ضرب الأمثلة والبراهين على هذا الأسلوب مع توضيح أهميته للدعوة الإسلامية، وكيف استطاع الإمام عليّ (رضي الله عنه) إقناع الماديين بوجود الله (عز وجل)، وكذا جدال سيدنا إبراهيم بن أدهم مع الرجل العاصي الذي أراد إصلاح نفسه والرجوع إلى الله (عز وجل).

وفي نهاية البحث تم التفرقة بين قول الحق (سبحانه وتعالى) في أن تكون الموعظة حسنة وأن الجدال لابد وأن يأخذ قدراً أعلى منها فيكون بالتي هي أحسن، وعند

عدم الفائدة من الأساليب الثلاثة، الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فإن الداعية المطلوب منه إبلاغ الناس الإسلام دون انتظار هدايتهم تأسياً بقوله تعالى: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**﴾ ولا أملك في نهاية الحديث إلا الدعاء.

﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد في الأولين والآخرين، ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
تمهيد	٥
أولاً: تأملات	٥
ثانياً: أرشادية	١٣
ثالثاً: (في)	١٧
رابعاً: أساليب	٢٠
خامساً: الدعوة الإسلامية	٢٢
أولاً: أهمية الأساليب	٢٩
أهمية الأساليب	٣٣
جمال الأسلوب	٣٥
أسلوب الحكمة	٣٨
أمثلة و شواهد للحكمة	٤٢
أهمية أسلوب الموعظة الحسنة والهدف منه	٥٢
الهدف من (الموعظة الحسنة)	٥٧
الموعظة في القرآن الكريم	٥٨
أسلوب الموعظة الحسنة في السنة النبوية	٦٤
أمثلة وشواهد من مواعظ النبي (ﷺ)	٦٦
أسلوب الجدل بالتي هي أحسن	٧١
تعريف الجدل	٧٢
أمثلة وشواهد لأسلوب الجدل بالتي هي أحسن	٧٩
الخاتمة	٩٠
فهرس الموضوعات	٩٢